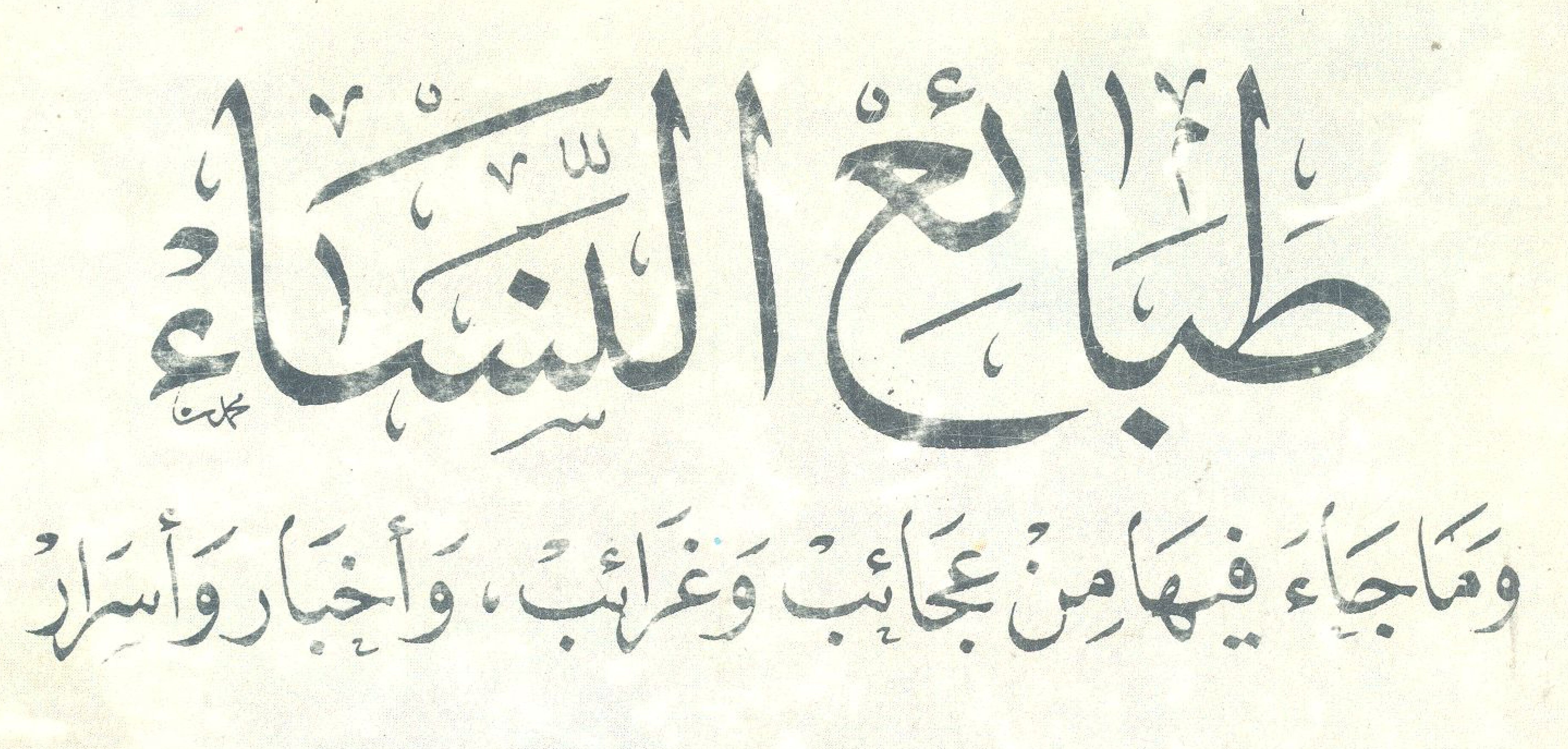


للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

صاحب العقد الفريد

تحقيق وتعليق

محمد إبراهيم سليم

- إياك وأن تقع في هؤلاء !
- امرأة يتعوذ منها الشيطان !
- جميلة من بعيد مليحة من قريب !
- ما الحب إلا للحبيب الأول !
- أيهما أنجب للولد : بنات العم أم الغرائب ؟
- احذر هذه المرأة !!
- البكر لك والثيب عليك !!
- ...ـه ذلك الوجه !!
- ...يلة العرس !!
- ...رأة !!





إخترت لك من التراث

طبائع النساء

وما جاء فيها من عجائب وغرائب، وأخبار وأسرار

للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

صاحب العقد الفريد

تحقيق وتعليق

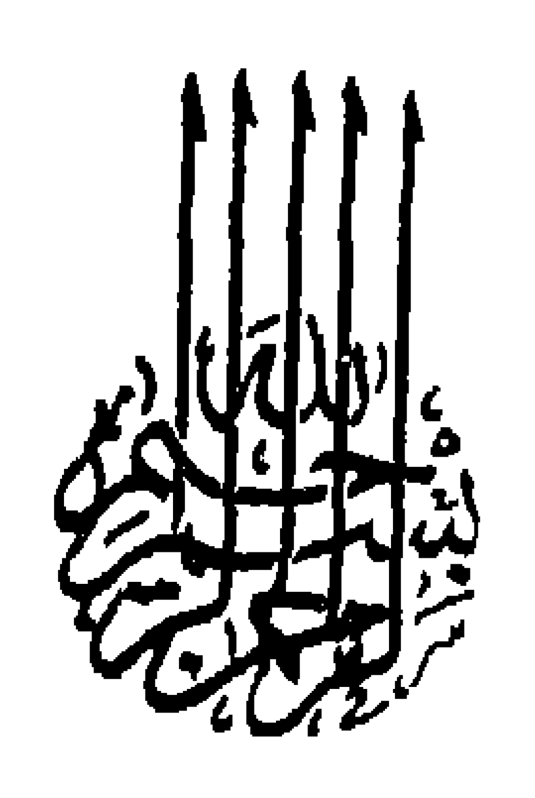
محمد إبراهيم سليم

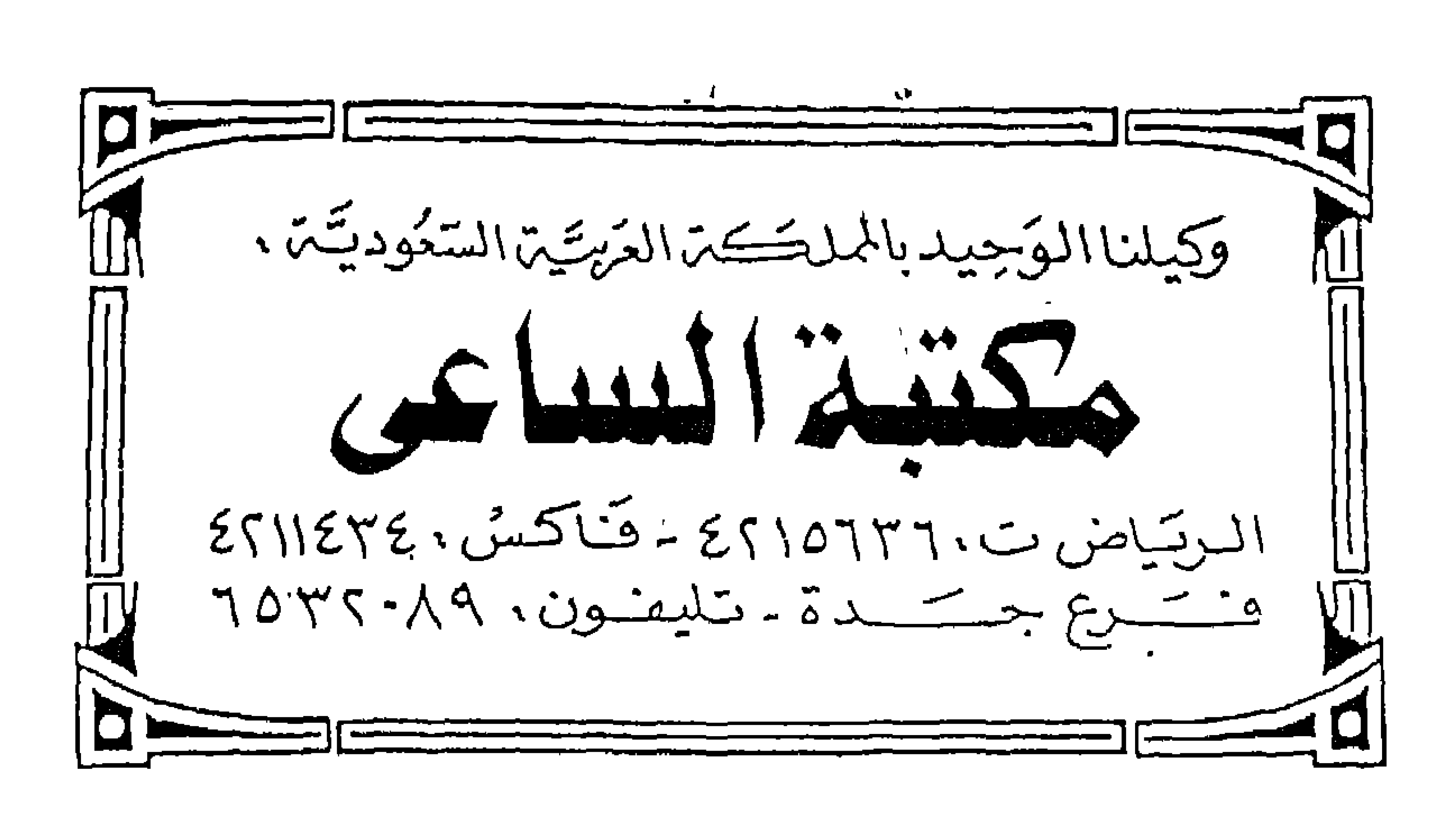
مكتبة القرآن

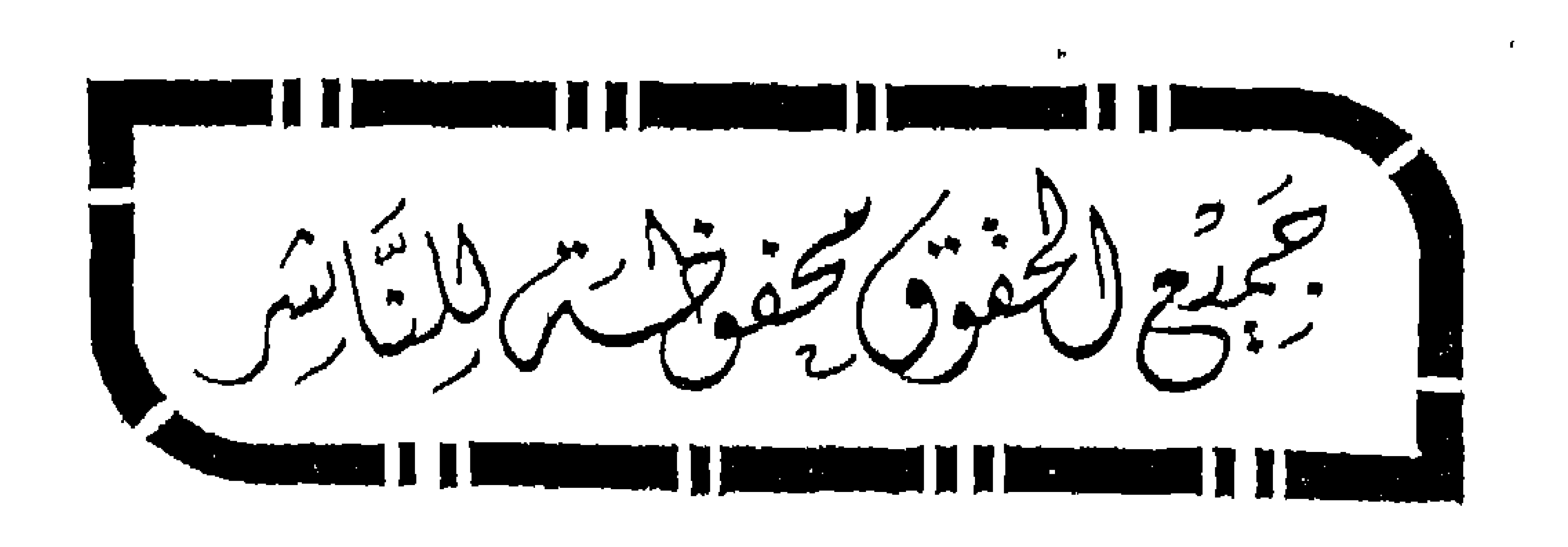
للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١


بسم الله الرحمن الرحيم


وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية :
مكتبة الساعي
الرياض ت : ٤٢١٥٦٣٦٠ - فاكس : ٤٢١١٤٣٤
فرع جدة - تليفون : ٦٥٣٢٠٨٩


جميع الحقوق محفوظة للناشر

بين يدى هذا الكتاب

باسم الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. وبعد .. فإن الأمم الناهضة تعمل على وصل ماضيها بحاضرها ، وتعريف أبنائها بما حققه أسلافهم فى شتى الميادين ! .

ألا وإن تراث أمتنا زاخر بشتى ألوان العلم والمعرفة ؛ فما أجدرنا بالعمل على إحيائه ، وبذل الجهود لجمع شتاته ، وتحقيق أمهاته ، ودراسة موسُوعاته دراسة تأمل واستيعاب ، كى يتسنى تقديمه للأجيال المحبة لتراثها فى صورة ملائمة للعصر تتيح لهم الاستفادة والمتعة ، ومعايشة ذلك التراث العظيم بدلاً من أن تعبث به يد الإهمال والضياع !! .

ولقد بدأنا نختار للقارىء العربى من كتب التراث ما يدعم مكتبته ، ويرضى ذوقه ، ويحقق رغبته ، وينفعه فى دينه ودنياه ، ويعينه فى معترك الحياة .

وكان على رأس الموضوعات التى قررنا أن نقدمها للقارىء العربى ما تضمنته كتب التراث من صنائع النساء واخبارهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن وما فى هذه الحياة من غرائب وعجائب لنزداد لهن فهما ، ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، فتطمئن القلوب ، وتسعد النفوس ، وتسكن الأرواح ، وتنتعش الأفئدة ، وتقر العيون ، وترفرف أعلام السعادة فى كل بيت .

ولا عجب ، فالمرأة قد « ملأت الدنيا وشغلت الناس » وما يقدم عنها من كتابات لا يُسهم فى وضع الأساس ، ولا يكاد يسمن أو يغنى من جوع ، وكأنى بالقراء يقولون : هل إلى كتب التراث من عودة ورجوع ؟! .

وعكفنا على كتب التراث ندرس .. ونبحث .. ونوازن .. ونقارن حتى انتهى بنا المطاف عند ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ذلك الكتاب الذى ألفه صاحبه لأهل المغرب فجمع فيه أشتاتا من ذخائر أهل المشرق مما تضمنته الموسوعات الكبرى مثل : « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، « والبيان والتبيين » للجاحظ ، « والكامل » للمبرد .

إنه الكتاب الثانى بعد كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى فى منزلته العلمية وقيمته الأدبية ، فالكتاب إذن اسم على مسمى .. كل حبة من حباته الخمس والعشرين باب من أبواب العلم والمعرفة التى لا غنى عنها لرواد الأدب ومحبى التراث ، فلا عجب إذا ما رأينا النفوس إليه مشتاقة ، والقلوب تواقة .

وكلما مرت الأيام يزداد « العقد الفريد » تألقا ، وتغلو قيمته ، وترتفع مكانته ؛ ليأخذ مكانه - فى المكتبات العامة - بين المراجع والموسوعات التى لا تعار !!، والقارىء الناشىء يجتر آلامه ، ويبكى أحلامه ، فى الحصول عليه وعلى إخوة له آثروا ذلك المكان ليظلوا فى الحفظ والصون بعيدا بعيدا عن متناول القراء !! .

وكأنى بالقارىء يعزى نفسه مرددا :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعزِّ الفؤاد عزاءً جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا !!

ولكن كيف السكوت على هذا والعقد الفريد - كما قلنا - هو الكتاب الثانى بعد الأغانى ؟! إنه يقع فى ثمانية أجزاء وتقديمه كله تحول دونه عقبات وصعاب ، والاختيار من بين حباته أمر عسير فكل حباته درر ولآلىء !! .

ويتراءى لنا الحل الذى يخرجنا من حيرتنا ؛ فما جمعه ابن عبد ربه عن النساء يعد مرجعا وافيا ، بل قل - فى غير مبالغة - هو موسوعة نسائية تجد فيه الخبرة الصادقة ، والنظرة العميقة ، والرأى الصائب ، والتجربة الرائدة ، وممن ؟ من عليم بالنساء خبير !! .

وكيف لا يكون عليما بهن من كان إذا رأى غزالا وقف يتأمله ثم يقول :

فعيناك عيناها وجيدُك جيدها غير أن عظم الساق منك دقيق !!

وكيف لا يكون صاحب تجربةٍ مُعَاشَةٍ من كان إذا رأى بعيره يقف إلى جوار ناقة محبوبته يهتف من أعماقه :

أحبهـــــا وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى !!

ومن أجل هذا كله رحنا نقلب حبات العقد الفريد وأجزاءهُ .. حبة حَبَّة ، وجزءًا جزءًا ، ولم ندع شيئا يتعلق بالنساء إلا وجمعناه ثم رتبناه ترتيبا ، وقسمناه أبوابا ، واخترنا لها من العناوين ما يلائمها فأخذنا من الجزء السابع :

[قولهم فى المناكح ، وفى النساء وصفاتهن ، وصفة المرأة السوء وعلامة الحب والبغض، وصفة الحسن ، والمنجبات من النساء ،ومن أخبار النساء ، وباب الطلاق ، وفى مكر النساء وغدرهن ، والهجناء ، وباب فى الأدعياء ، وفى الباه وما قيل فيه ، وفى النكاح] .

ومن الجزء الثامن : فى المفاكهات ، وما يكتب على العصائب وغيرها والمضحكات .

ثم عرَّجنا على بقية الأجزاء فأخذنا من الجزء الأول : [الوافدات على معاوية] ومن الجزء الثانى : [من يضرب به المثل من النساء ، ومن أمثال العرب، ثم القول عند الموت] .

ومن الجزء السادس : أخذنا : [قولهم فى رقة التشبيب ، وقولهم فى النحول ، وقولهم فى التوديع] .

فكان لنا هذا الحصاد .. الذى عملنا – ما وسعنا الجهد – على تقديمه فى الصورة الملائمة ، ولقد أعطيناه حقه من التنسيق والترتيب ، والتنظيم والتبويب ، والضبط والشرح ، والتقديم والتعليق .

وهاهو ذا بين يديك جاء متعة للقارىء ، ودليلا وافيا للباحث ومرجعا

لمن يهتمون بالتراث .. خاليا مما يؤذى المشاعر ، أو يخدش الحياء كما تقضى بذلك أخلاقيات النشر ، ورسالة العلم و العلماء !! .

فهل ترانى قد حققت لك بعض الأمل والرجاء ؟ ؟ .

إن كان هناك من توفيق فمن الله .. ثم من الرغبة الصادقة فى تقديم ما ينفع القارىء فى دينه ودنياه .

ومنتهى أملى أن أحظى برضوانٍ من الله .

المحقق

محمد إبراهيم سليم

القاهرة : فى غرة رجب سنة ١٤٠٥ هـ
٢٤ مارس سنة ١٩٨٥ م

الكتاب والمؤلف :

العقد الفريد

مجموعة أدبية ضمنها ابن عبد ربه مارآه جديرا بالتدوين من فروع الأدب وهو من أمهات كتب التراث ، فقد حوى خير ما ألف فى موضوعه من الكتب السابقة عليه ، ولم يقتصر على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التى ترجمت إلى العربية فى زمنه عن اليونانية والهندية والفارسية .

منهجه :

قد أوضح منهجه فى التأليف فى مقدمة الكتاب ، فذكر أنه تخيره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، وأنه ليس له إلا تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش فى صدر كل كتاب ، وقد جمع نظائر الكلام وأشكال المعانى فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدة ، وقد عمد إلى أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة .

فهو مختار ومُنشِيء معا ؛ حيث يقدم الباب بمقدمة من إنشائه وقد يتبع الباب بما ينشئه من شعره ، وله آراء جليلة فى النقد الأدبى شائعة فى الكتاب .

تقسيم الكتاب وتبويبه :

لقد تصور المؤلف كتابه عقدا مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتا عشرة منها فى جانب ومثلها فى الجانب الآخر ، وواحدة فى الوسط واختار لكل جوهرة من الجواهر الاثنتى عشرة اسما : لؤلؤة .. فريدة .. زبرجدة

جمانة – مرجانة ... ياقوته ... جوهرة ... زمردة ... درة ... يتيمة ... عسجدة ... ومجنبة ... وتتكرر الأسماء فى الجانب الآخر أما جوهر الوسط فهو واسطة العقد .

قيمته الأدبية :

للعقد قيمة أدبية من حيث النقد الأدبى إلى جانب مجموعة كبيرة من الأمثال صنفت حسب موضوعاتها ، وقد اشتمل على عيون الخطب والقصص والنوادر وضمَّ الألوف من أبيات الشعر لأكثر من مائتى شاعر من العصر الجاهلى والأموى والعباسى . .

إنه مجموعة متخيرة من جواهر الأدب ، ولكنه لم يعن بالإسناد وإن كان قد أحسن الاختصار ، وأجاد الاختيار .

قيمته التاريخية

يعد العقد من المصادر التى يرجع إليها الباحثون فى تاريخ العرب السياسى والاجتماعى والأدبى .

وإذا كان العرب قد أطلقوا على قصائدهم الطويلة الخالدة من تراث العصر الجاهلى اسم المعلقات ، لأنها جديرة بأن تعلق بالقلوب لجودتها ، أو تشبيها لها بعقود الدر التى تعلق على صدور الحسناوات فإن ابن عبد ربه المغربى الأندلسى القرطبى حينما فتح عينيه على أدب المشرق : شعره ونثره ، راح يجمع أصدافه ولآلئه ودره وجواهره ويصوغها عقدا فريدا تتيه به اللغة العربية ، وستظل على مدى الأيام تفخر بدُراتِه مرددة على سمع الدنيا :

« ودُرَّاتُه فرائد عقدى »

★ ★ ★

المؤلف :

فى قرطبة ولد ابن عبد ربه ذات يوم من عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠ م وبها عاش طول حياته ، وفيها توفى عام ٣٣٨ هـ - ٩٤٠ م .

ويذكر المؤرخون فى نسبه أنه : « أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير ين سالم القرطبى » .

وعن تحصيله يقول ابن خلكان : « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات ، والاطلاع على أخبار الناس » .

وقد انتمى إلى بلاط الأمير محمد بن عبد الرحمن الداخل شابا فتيا ولازمه طول مدة إمارته (٨٥٢ - ٨٨٦ م) وترك هذا فيه أبلغ الأثر .

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الأمير محمد ابنه المنذر ثم أخاه عبد الله من بعده ، وعبد الرحمن الناصر أخيرا ، وكان معهم جميعا شاعر البلاط ونديمه .

كان ابن عبد ربه كاتبا وشاعرا ووشّاحاً

وفى مجال الكتابة نجد مقدمات لأبواب عقده ، وهى تمتاز بوضوح العبارة ، ودقة الأسلوب ، وازدواج الجملة ، والخلو من الغريب ، والبعد عن التكلف والتعقيد .

وتنسب إليه المصادر الأندلسية أنه كان وشاحا ، ويذهب بعضها أنه مبتدع فن التواشيح .

أما شعره فكان موضع إعجاب القدامى وتقديرهم ، قال عنه الفتح بن خاقان : « إنه حجة الأدب ، وإن له شعرا انتهى منتهاه ، وتجاوز سِماكَ الإحسان وسُهاه » .

وروى ياقوت فى « معجم الأدباء » أن أبا الوليد بن عسال لقى المتنبى

فى مسجد عمرو بن العاص ، وأن المتنبى قال له : « أنشدنى لمليح الأندلس ، يعنى ابن عبد ربه فأنشده :

يالُؤلؤاً يَسبى العُقولَ أنيقـا
ورَشاً بتقطيع القلوبِ رفيقــا
ما إن رَأيْتُ ولا سمعت بمثلــه
دُرا يعود من الحياء عقيقــا
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهــه
أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يامن تَقَطَّعَ خصرُه من رِقــة
ما بال قلبك لا يكون رقيقــا ؟!

فاستعاده المتنبى ، ثم صفق بيديه وقال :

« يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حَبْواً » .

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه « العقد الفريد » وليس له بين أيدينا كتاب آخر .

طبعات العقد الفريد ومختصراته :

● طبع العقد الفريد عدة مرات فى مصر وكان من أوائل مانشر من كتب الأدب :

١ – طبع فى مطبعة بولاق للمرة الأولى سنة ١٢٩٢ هـ – ١٩٧٥ م .

٢ – وفى المطبعة العثمانية عام ١٣٠٢ هـ – ١٨٨٤ م .

٣ – وفى المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ – ١٨٨٧ م .

٤ – وطبع ثانيا فى المطبعة نفسها عام ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨ م .

٥ – وفى المطبعة الأزهرية عام ١٣٢١ هـ – ١٩٠٣ م .

٦ – وفى المطبعة الجمالية عام ١٣٣١ هـ – ١٩١٢ م .

٧ – ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م .

٨ – ثم طبعته المطبعة التجارية طبعة أخرى ١٣٦٢ هـ – ١٩٤٣ م بتحقيق محمد سعيد العريان .

٩ – وأجود الطبعات كانت عام ١٢٥٩ هـ – ١٩٤٠ بتحقيق – أحمد أمين والأبيارى وأحمد الزين .

١٠– ونشرته دار الكتب العلمية بلبنان ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .

وقد تم اكتشاف عدد من مخطوطات العقد الفريد فى مكتبات المغرب لم تكن معروفة من قبل مما يجعل من المفيد إعادة تحقيق العقد فى ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد .

المختصرات :

وقد اختصر العقد الفريد اثنان من القدامى :

الأول : أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادى أشى القيسى المتوفى عام ٥٧٠ هـ – ١١٧٤ م ، وهو أندلسى من وادى أش ، مدينة جميلة تقع فى مقاطعة غرناطة بإسبانيا الآن .

والثانى : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى الشهير بابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » والمتوفى عام ٧١١ هـ – ١٣١١ م .

واختصر حديثا مرتين :

الأولى : عندما عمدت لجنة من أساتذة دار العلوم إلى اختصاره استجابة لرغبة وزارة المعارف آنذاك فاختارت بعض أبوابه وانتقت من بعض أخبارها ، وسمته « مختار العقد » ونشر عام ١٩١٣ .

والثانية : تمت من عشرين عاما عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته فى سلسلة كانت تشرف على إصدارها .

منهج التحقيق

● جمعنا ما تناثر هنا وهناك من حبات العقد « فى النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن » .

● قسمناه ثمانية أبواب ، واخترنا لها عناوين تطابق محتواها ، وتلائم فحواها ، وقدمنا للأبواب التى لم يقدم لها ابن عبد ربه بما يلقى الضوء عليها ، ويحقق الهدف المنشود منها ، وأضفنا بابا تاسعا فى نهاية الكتاب جمعناه من فقه اللغة للثعالبى فى محاسن المرأة وأوصافها الخلقية والخلقية يرجع إليه القارىء لإيضاح ما غمض من الألفاظ التى تضمنتها نصوص الكتاب وسميته « المعجم النسائى » مما لابد للقارىء العربى من الإحاطة به . وإن كنا لم ندخر وسعا فى إجلاء ما غمض ، وتقريب ما بعد ، وتيسير ما عسر .

● كنا أمناء على النص وتحقيقه فرجعنا إلى المصادر التى نقل عنها ابن عبد ربه ولم نزد عليه ، ولم نحذف منه إلا ما يخدش الحياء ، وينفر منه الذوق .

● خرجنا آياته ، وضبطنا ما يحتاج إلى ضبط من كلماته وعباراته .

● راعينا علامات الترقيم ، ووضع الجمل والفقرات ، لنتيح للقارىء متعة معايشة النص وتذوق الجمال فيه ، ولم يفتنا أن نترجم للأعلام بما يساعد على معايشة النص .

● اخترنا للكتاب عنوانا ، وقدمنا بين يديه عرضا لما جاء عن النساء فى القرآن الكريم ، كما سلطنا الضوء على طبعات العقد الفريد ومختصراته ومخطوطاته بعد أن تحدثنا عن منزلة ابن عبد ربه ، ومنهجه فى التأليف ، وتقسيم الكتاب وتبويبه ، وقيمته الأدبية والتاريخية .

وها هى ذى أبواب الكتاب ، والعناوين التى تم اختيارها :

الباب الأول : فى اختيار الحليلة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، وما يحمد من عشرة النساء .

الباب الثانى : لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن .

الباب الثالث : النساء المنجبات وأبناء السرارى والإماء .

الباب الرابع : سمات الجمال ، وأحوال المحبين .

الباب الخامس: طبع الأنثى وما يذم من عشرة النساء .

الباب السادس: أبغض الحلال إلى الله الطلاق .

الباب السابع : عندما ينقطع الرجاء ، ويكتب علينا الفراق .

الباب الثامن : نماذج للزعامة ، وحسن السفارة ، ومن يُضربُ به المثل منهن .

الباب التاسع : المعجم النسائى « من فقه اللغة للثعالبى » .

وأسأل الله – سبحانه-أن يجد القارىء فى هذا الكتاب ، ما يحقق أمله ، ويرضى ذوقه ، وينعش روحه ، ويمتع فؤاده .

إنه أكرم مسئول ...

هكذا خلقت !!

نعايش المرأة .. ولا نكاد فى حياتنا نستغنى عنها ! .

الصلة بيننا وبينها وثيقة ؛ فهى أم ، وأخت ، وزوجة ، وبنت ، وشقيقة .

ومنا من ينعم بقربها !! .

ومنا من يحترق بلهيب نارها ! .

ويحار فيها الفكر أحيانا ، فيصرخ الرجل ، لقد ضاع من قدمى الطريق ! يالشقائى !! إننى لا أستطيع أن أعيش معها .. ولا أستطيع العيش بدونها !! فكيف السبيل ؟! وأين الطريق ؟! .

قال عنها الفلاسفة والشعراء ما قالوا ، وأطلقوا العنان لتصوراتهم وتخيلاتهم فى وصف طبيعتها كما بدت لهم فقالوا عنها :

فيها من القمر استدارته . .

ومن البحر عمقه . .

ومن النجوم لمعانها . .

ومن شعاع القمر حرارته . .

ومن الندى قطراته . .

ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها . .

ومن النبات ارتجافه وارتعاشه . .

ومن الورد لونه وعطره . .

ومن الأزهار مخملها . .

ومن الأوراق خفتها . .

ومن الأغصان تمايلها . .

ومن حفيف الأشجار حنينها وأنينها ..

ومن النسيم لطفه ورقته . .

ومن العسل طعمه وشهده . .

ومن الذهب شعاعه . .

ومن الماس قساوته . .

ومن الحية حكمتها . .

ومن الحرباء تلونها . .

ومن الغزال شروده . .

ومن المها عيونها . .

ومن الأرنب خجله وحياءه . .

ومن الطاووس خيلاءه وزهوه . .

ومن الأسد شراسته وقوته . .

ومن الزمن خيانته وغدره . .

ومن الثعلب مكره وروغانه . .

ومن اليمامة نغمتها . .

ومن العقرب لذعته . .

ومن الببغاء هذيانها ، وكثرة كلامها .

★ ★ ★

وتسمع ما يقال عنها ، فيغرها الثناء ، ويدفعها العناد والكبرياء ، فتمضى فى طريقها وهى تردد :

هم يقولون ! ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ! .

ومنا من يقبلها على عِلّاتها ، ويقول كما قال النحويون : « أىّ هكذا خلقت » ! .

ومنا من يتوجس خيفة من الإقبال عليها فيعكف على دراسة شخصيتها ، ومعرفة أسرارها وطبيعتها .. ويظل يبحث ويبحث حتى يفوته القطار ، وتصبح حياته ليلا بلا نهار !! .

وفى كتاب الله ، وسنة رسوله مايلقى الضوء الأخضر ، ويؤمن مسيرتنا فى رحلة الحياة ، ويرشدنا إلى طريق السلامة والنجاة . .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (١٤ : الملك) .

فتعال نتصفح معا كتاب الله ! .

فكم تتطلع نفوسنا أولا وأخيرا إلى القرآن الكريم وآياته لتهتدى بهداه وتسير على ضوئه .. ونفتح المصحف الشريف فإذا به يحدثنا عن ذلك الرباط — من صنع الله — الذى يجمعنا منذ بدء الخليقة :

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [١ : النساء] .

● فكلانا ينتمى إلى الخالق المبدع ونحن جميعا صنعته وخلقته :

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾ [٤٥ : النجم] .

● ومنتهى أمل المؤمن أن يهب الله له زوجة صالحة ولذلك كان الدعاء .. وكانت الاستجابة :

﴿ هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ [٧٤ : الفرقان] .

﴿ فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾ [٩٠ : الأنبياء]

● ومنهن البنون والحفدة وفيهن تتجلى نعمة الله علينا :

﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [٧٢ : النحل] .

● وليس من اللائق أن تنصرف النفوس عن المحللات من الزوجات إلى غيرهن ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ [١٦٦ : الشعراء] .

● فهن زهرة الحياة الدنيا ومتعتها ، وفتنتها :

﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [١٣١ : طه] .

● وعلى العاقل ألا تغريه الزينة أو يجرفه حب الشهوات :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ [١٤ : آل عمران]

● وشأن المسلمين والمسلمات أن يختاروا قيم الدين ويؤثروها على متع الدنيا :

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما ﴾ [٢٨ - ٢٩ الأحزاب] .

● فما عند الله خير لمن اتقى و ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [١٤ : آل عمران] .

● ويقال للذين آثروا قيم الدين على متع الدنيا :

﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ [٧٠ : الزخرف] .

و ﴿ لهم أزواج مُطهرة ﴾ [٢٥، : البقرة] .

● ويتراءون فى أجمل صورة وأرفع منزلة :

﴿ هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [٥٦ : يس] .

وإذا كان القرآن ضرب الأمثلة للنماذج الطاهرة فحدثنا عن مريم بنة عمران التى أحصنت فرجها ، فإنه فى الجانب المقابل قد وضع أمامنا للعبرة والعظة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ [التحريم : ١٠] .

● ويأتى التحذير مباشرا وصريحا يقرر الواقع الملموس :

﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ .

[١٤ : التغابن]

● وتوضع النقط فوق الحروف فتكشف الآيات عن جانب من طبع المرأة ألا وهو إذاعة السر :

﴿ وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال : نبأنى العليم الخبير ﴾ [التحريم : ٣] .

● وهن فتنة كما تحدث الناصح الأمين محذرا فى الحديث الشريف :

« ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء » (١) .

« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا فتنة الدنيا ، واتقوا فتنة النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (٢) .

نجانا الله ووقانا الفتنة ، وهدانا سواء السبيل وجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين .

﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾

[٤٠ : إبراهيم] .

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم .

ابن عبد ربه وطبائع النساء

هل تريد أن تضيف أعمارا إلى عمرك ؟!!

إذن تعال إلى التاريخ :

فسوف يصحبنا ابن عبد ربه إلى عالم النساء وأسراره ، بما فيه من عجائب وغرائب فيحدثنا عن الحليلة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، ومن منا لا يتمنى أن يرزقه الله إياها ، ويغنيه بها عمن سواها ؟! .

ثم يقدم إلينا لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن ، لنزداد لهن فهما ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، مما يجعلنا أقدر على حسن اختيارهن ، وكيف لا ، وقد جعلنا نعايش من قيل عنه : عليم بأدواء النساء طبيب .. ولا ينبئك مثل خبير ! .

حتى إذا اطمأن إلى حسن اختيارنا راح يحدثنا عن المنجبات وأبناء السرارى والإماء ، والهجناء من الأولاد والأدعياء .

وقد يأسرنا الجمال ، ويضيق الصدر بما لا يقال ، بعد أن أضناه عشق الجمال فيصور ذلك كله عارضا رقة التشبيب ، وجميل الغزل متحدثا عما قد يكون من تزين وتطيب ، وما يكتب على العصائب من عبارات للحب مُصورة ، وعن الهيام معبرة ، ولا يفوته أن يصور ما يعترى المحبين من نحول وذبول ، وما يصاحب لحظات الوداع من حنين وأنين وآهات ودموع .

ولكنه يعود فيذكر بطبع الأنثى ؛ فليس لمخضوب البنان يمين ! .

ويحذرنا من أمثال تلك التى يتعوذ الشيطان منها !! .

ولا يفوته أن يحدثنا عما ينتهى إليه حال أولئك .. وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فإنه قد راح يحدثنا عن أبغض الحلال ، وعما هو ألذ من ليلة العرس ، وعن الكراهية فى قمتها مما يجعلنا نستسلم قائلين معه : « إلى غير رجعة » .

وقد ينقطع الرجاء حيث يكون الفراق ، فتحترق قلوب وتسيل دموع .. ويتجلى الوفاء فى أروع صوره !! .

وأخيرا يعرض علينا نماذج للزعامة وحسن السفارة فيتيح لنا أن نعيش مع ثمانٍ منهنّ من صواحب عَلىّ ، وفدْن على معاوية وكان لهن معه شأن يذكر .

ولا يفوته أن يتناول ما سجلته الأمثال عن النساء ، مما جرى على كل لسان وأصبح آية فى الفصاحة والبيان ! .

الحق أقول : إنها تجارب كثيرة ، ومواقف مثيرة ، بها تتضح الرؤية ، وينكشف الغطاء ، وتنقشع السحب والغيوم ، ويذوب الجليد ، وتفتح مغاليق ، وتهدأ نفوس ، وتلتئم جراحات ، وكيف لا وسوف نضيف إلى خبرتنا خبرات ، وإلى أعمارنا سنوات وسنوات ؟! .

لقد قالوا :

ليس بإنسان ولا عالم ... من لا يعى التاريخ فى صدره
ومن درى أخبار من قبله ... أضاف أعمارا إلى عمره !!

وأخيرا أراك قد عرفت الرفيق على الطريق ... ففى أمان الله ودعواتى لك بالتوفيق ... مع ابن عبد ربه فى عقده الفريد !!

ولا يفوتنى أن أقدم إليهن دعواتى بالتوفيق :

ربى سألتُك باسْمِهِنَّهْ ... أن تَفْرِشَ الدنيا لَهُنَّهْ
بالوردِ إن سمحت يـــ ... ـداك وبالبنفْسَجِ بعد هُنَّهْ
لِتطِلَّ شمْسك فى الصــ ... ـباح وكلٌّ أم مُطْمئِنَّهْ

في اختيار
الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة
وما يحمد من عشرة النساء

النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن :

● قال أبو عمر (أحمد بن محمد بن عبد ربه) :

نحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى النساء وصفاتهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن ، إذ كان ذلك مقصورا على الحليلة [١] الصالحة والزوجة الموافقة .

والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها ، ولا تقر العين برؤيتها !! .

أقوال عنهن فى القمة

قال الأصمعى [٢] :

حدثنى ابن أبى الزناد عن عروة بن الزبير قال :

● ما رفع أحد نفسه – بعد الإيمان بالله بمثل – مَنْكح [٣] صدق .
ولا وضع أحد نفسه – بعد الكفر بالله بمثل – منكح سوء .

ثم قال :

● لعن الله فلانة ! ألفَتْ [٤] بنى فلان بِيضاً طِوالاً ، فقلبتهم سودا قصاراً !! .

وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام :

---

(١) الحليلة : الزوجة التى أحلت بعقد نكاح .
(٢) الأصمعى : أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين ، له عدة مؤلفات ، ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .
(٣) منكح : زوجة ؛ لأنها موضع النكاح .
(٤) ألفت . وجدت .

● « المرأة العاقلة تبنى بيتها ، والسفيهة تهدمه » .

وقال :

● الجمال كاذب ، والحسنُ مُخْلِف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة [١] .

★ ★ ★

الرسول ﷺ وعكاف

مكحول عن عطية عن بشر عن عكاف بن وداعة الهلالى أن رسول الله ﷺ قال له : « ياعكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا .

قال : فأنت إذن من إخوان الشياطين !! .

إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم .

وإن كنت منا فانكح فإن من سنتنا النكاح » .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

● « النكاح رِقّ [٢] ، فلينظر أحدكم من يُرق كريمته » .

وقال رسول الله ﷺ :

● « أوصيكم بالنساء فإنهن عَوانٍ [٣] عندكم » .

---

(١) قد يطرأ على الجمال والحسن ما يغيرهما ، فهما عرض زائل ، أما القيم فتبقى ؛ لأن ما بالذات لايتخلف .

(٢) كلاهما فيه نوع من التملك ، فالزوج يتملك البُضع .

(٣) العانى . الأسير والضعيف ، والنساء عوان ؛ لأنهم يُظلمن ؛ فلا ينتصرن ! .

قولهم فى المناكح

(الزوجات)

صعْصَعَةُ وابنُ الظَّرِب :

أتيتنى تشترى كبدى

● خطب صعصعةُ بن معاوية إلى عامر بن الظرِب حكيم العرب ابنته عَمْرة – وهى أم عامر بن صعصعة – فقال : ياصعصعةُ : إنك أتيتنى تشترى من كَبِدى ، فارحم ولدى ، قَبِلْتُك أو رَدَدْتُك ، والحسيب كفء الحسيب [1] ، والزوج الصالح أبٌ بعدَ أب ، وقد أنكحتك خشيةَ ألا أجدَ مثلك ، أفرُّ من السر إلى العلانية .. يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتُكم من غير رغبة ولا رهبة ، وأقسم لولا قَسْمُ الحظوظِ على قدر الجدود ما ترك الأولُ للآخر ما يعيش به .

ابنُ حُجْر ، وابن مُحَلّم :

وصية ذهبيــة

العباس بن خالد السهمى قال :

● خطب عمرو بن حُجر إلى عوف بن مُحلم الشيبانى ابنته : أمَّ إياس ، فقال :

نعم أُزَوِّجُكُما على أن أُسَمِّيَ بنيها ، وأُزَوِّجَ بناتِها ، فقال عمرو بن حُجْر :

---

(١) الحسيب : دو الحسب ، والحسب مفاخر الآباء وما يدل على شرف الأصل .

أما بنونا فنسميهم بأسمائنا ، وأسماء آبائنا وعمومتنا . وأما بناتنا فننكحهن أكفاءَهن من الملوك ، ولكنى أُصْدِقها [١] عقاراً فى كِنْدة ، وأمنحها حاجات قومها ، لاترد لأحد منهم حاجة ! ، فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه إياها ، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها [٢] فقالت :

أى بنية ، إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعُشَّك الذى فيه درجتِ [٣] إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين [٤] لم تألفيه ، فكونى له أمةً يكن لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا تكن لك ذخراً [٥] :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد [٦] لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم إلا أطيب ريح ! .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهبة [٧] وتنغيص [٨] النوم مغضبة ! .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والإرعاءُ [٩] على حشمه [١٠] وعياله ، ومِلَاكُ [١١] الأمر فى المال حُسنُ التقدير ، وفى العيال حسن التدبير ! .

---

(١) أصدقها : قدم لها صداقها ومهرها .
(٢) أمها : أُمَامة بنت الحارث : هى زوجة محلم الشيبانى ، وكانت من النساء اللاتى عرفن بالعقل
(٣) العش الذى فيه درجت : بيت أبيك الذى بدأت حطواتك الأولى فيه .
(٤) قرين : صاحب وزوج .
(٥) تكن لك ذخرا : تدخرينه لما يُصلح حياتك .
(٦) تفقد الشيء : طلبه والاهتمام به ورعاية المظهر الجمالى .
(٧) ملهبة : المراد أنه يلهب ويغضب .
(٨) تنغيص : تكدير .
(٩) الإرعاء : الرعاية .
(١٠) حشمه : خدمه .
(١١) ملاك الأمر : قوامه وعماده .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصن له أمراً ، ولا تُفشِنَّ له سراًّ [١] ؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره [٢] ، وإن أفشيت سره ، لم تأمني غدره ؛ ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما [٣] ، والكآبة [٤] بين يديه إن كان فرحا .

فولدت له الحارث بن عمرو جَدَّ امرىء القيس الشاعر .

زرارة ولقيط وابنة ذى الجدين

من أحسن .. أنا ، أم لقيط ؟

● الشيبانى قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زراة بن عدس نظر إلى ابنه لقيط فقال : مالى أراك مختالا ؟ كأنك جئتنى بابنة ذى الجدين أو مائة من هجائن النعمان [٥] ! فقال : والله لا يمس رأسى دُهنٌ حتى آتيك بهما أو أبلى عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين – وهو قيس بن مسعود الشيبانى – فوجده جالسا فى نادى قومه من شيبان ، فخطب إليه ابنته علانية ، فقال له : هَلَّا ناجيتنى ؟ ومن أنت ؟ قال : لقيط بن زرارة ، قال : لا جرم[٦] ، لا تبيتن فينا عزباً ولا محروما ! ، فزوجه وساق عنه المهر وبنى بها من ليلته تلك .

ثم خرج إلى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ، وأقبل إلى أبيه وقد وفى نذره ، فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ، فخرج لقيط يتلقاها فى الطريق ، ومعه ابن عم له يقال : قراد ، فقال لقيط :

---

(١) لا تفشين : لا تخرجين ولا تنشرين .

(٢) أوغرت صدره : ملأت صدره غيظا وحقداً .

(٣) مهتما : حزينا مهموما .

(٤) الكآبة : الانقباض والحزن ، والأم حريصة على تحقيق المشاركة الوجدانية بين الزوجين حتى تقوم حياتهما على أسس راسخة .

(٥) الهجان من كل شيء : خياره ، ومن الإبل : البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع .

(٦) لا جَرَم : أى لابد ، أو لا محالة ، أو حقا ، وقد تحول إلى معنى القسم فيقال : « لا جَرَم لأفعلن » .

هاجت عليَّ ديارُ الحيِّ أشجاناً
واستقبلوا من نوى (١) الجيران قربانا

تامت (٢) فؤادك لم تقض التى وعدت
إحدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

فانظر قراد ، وهل فى نظرة جزعٌ
عرض الشقائق ، هل بينت أظعانا

فيهن جارية نضح العبير بها
تُكسى ترائبها دراً ومَرجانا

كيف اهتديت ولا نجم ولا علم
وكنت عندى نئوم الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت : مُرُّوا بى على أبى أُودعه ! فلما ودعته قال لها :

يابنية : كونى له أمة يكن لك عبداً ، وليكن أطيب طيبك الماء ثم لا أذكرت (٣) ، ولا أيسرت (٤) ؛ فإنك تلدين الأعداء ، وتقربين البعداء ، إن زوجك فارس من فرسان مضر ، وإنه يوشك أن يقتل أو يموت ؛ فإذا كان ذلك ، فلا تخمشيَ (٥) عليه وجها ، ولا تحلقى شعراً ! .

فلما قتل لقيط تحملت إلى أهلها ، ثم مالت إلى محلة عبد الله بن دارم فقالت : نعم الأحماء كنتم يابنى دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيرا فلم أر مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوجها ابن عم لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط ، فقال لها زوجها : أى يوم رأيت فيه لقيطا أحسن فى عينك ؟ .

---

(١) نوى الجيران : تحولهم وانتقالهم من مكان إلى آخر ، والنوى البعد .

(٢) تيمه الحب : عبَّده وذلَّله فهو متيم .

(٣) لا أذكرت : لا ولدت الذكور ؛ لأنهم سوف يكونون أولاد أعدائه فمن رأى العرب أن البنين هم أولاد الأبناء فقط ولذلك يقولون :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

(٤) أيسرت المرأة سهلت عليها الولادة ، ولا أيسرت : دعاء عليها بولادة عسرة .

(٥) خمش الوجه : خدشه ولطمه .

قالت : خرج يوما يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتانى مختضبا بالدماء ، فضمنى ضمة ، ولثمنى لثمة ؛ فليتنى مِتُّ ثَمةَ ؛ فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ثم أتاها ، فضمها ولثمها ثم قال لها : من أحسن ، أنا أم لقيط عندك ؟ .

فقالت : « مرعى ولا كالسعدان » [١] .

★ ★ ★

---

(١) السعدان : نبت له شوك ، وهو من أفضل ما ترعاه الإبل ، وفيه يضرب المثل فيقال : مَرْعًى ولا كالسعدان ! والمقصود : أن لقيطا لا يفضله آخر .

قيس بن زهير والنمر

لا تردوا الأكفاء عن النساء

● حكى أبو الفضل عن بعض رجاله قال :

قدم قيس بن زهير – بعد ماقتل أهل الهباءة – على النمر بن قاسط فقال : يا معشر النمر ، نزعت إليكم غريبا حزينا ، فانظروا لى امرأة أتزوجها ، قد أذلها الفقر ، وأدَّبها الغنى ، لها حسب وجمال ! .

فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال : إنى لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقى – إنى غيور فخور نَفُور ، ولكنى لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ولا آنف حتى أُظلم (١) .

فأقام فيهم حتى وُلد له غلام سماه : خليفة ، ثم بدا له أن يرتحل عنهم فجمعهم ثم قال :

يامعشر النمر ، إن لكم علىّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم فآمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال : عليكم بالأناة ؛ فإن بها تنال الفرصة ، وسوِّدوا (٢) من لا تُعابون بسؤدده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع ما تريدون منعه قبل القسم ، وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عَن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال ، وأنهاكم عن الرهان ؛ فإنى به ثكلت مالكا ، وأنهاكم عن البغى ؛ فإنه صرع زهيرا ، وعن السرف فى الدماء ، فإن يوم الهباءة أورثنى الذل ، ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الأكفاء عن النساء فتحوجوهن إلى البلاء ، فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور ، واعلموا

---

(١) أنف من العار : كرهه وترفع عنه وتنزه . ونفر منه .

(٢) سودوا : اجعلوه سيدا عليكم

أني أصبحت ظالما مظلوما : ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا ، وظلمت بقتلي من لا ذنب له .

الفاكه وزوجته هند في ريبة

إليك عني !!

● كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنة عتبة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال [1] يوما في ذلك البيت وهند معه ؛ ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشي البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟! قالت : والله ما انتبهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط . قال : الحقي بأبيك ! وخاض الناس في أمرها ، فقال لها أبوها : يابنية ، العارَ وإن كان كذبا ، أبثّيني شأنَك [2] ؛ فإن كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب ! .

فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ؛ فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك .

فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن ، تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بُنيةُ ، ألَا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟! .

---

(١) قال : قضى وقت القيلولة والظهيرة في مكان ظليل كالبيت ونحوه .

(٢) بثّ الخبر : أذاعه ونشره ، وأبثيني شأنك أي أطلعيني عليه وكاشفيني به .

قالت : ياأبت ، والله ما ذلك لمكروه قِبَلى ، ولكنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ، ولعله أن يَسِمَنى (١) بسمة تبقى على ألسنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرهُ (٢) لك ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى (٣) عمد إلى حبة بر فأدخله فى إحليله ، ثم أوكى (٤) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك فى أمر ، وقد خبأنا لك خبيئة فما هى ؟ قال : بُرة فى كمرة (٥) ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : حبة بر فى إحليل مُهر . قال : صدقت . فانظر فى أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومى لشأنك ! حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : قومى غير رفْحاء (٦) ولا زانية ، وستلدين ملكا يسمى : معاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنترت (٧) يدها من يده وقالت : إليك عنى ! والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ! فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

هند وزواجها من أبى سفيان

إنى لأخلاق مثل هذا لموافقه .. فزوجنيه !!

● وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : ياأبت ، إنك زوجتنى من هذا الرجل ، ولم تؤامرنى فى نفسى ، فعرض لى معه ما عرض ؛

---

(١) يسمنى : يصفنى من السمة وهى العلامة المميزة .. وكانت تخاف أن توصف بالزانية .
(٢) سأخبُره : سأختبره ؛ لأعرف حقيقته ، ومدى معرفته بالمستور .
(٣) أدلى : أخرج جروانه ليبول أو يضرب .
(٤) أوكى عليها : ربط عليها وغطَّى .
(٥) بُرّة : حبة بُرّ وقمح فى رأس الإحليل .
(٦) رفحه ترفيحا : قال له : بالرفاء والبنين .
(٧) نترت يدها : جذبتها بشدة .. وإليك عنى : ابعد عنى ودعنى لشأنى .

فلا تزوجنى من أحد حتى تعرض على أمره ، وتبين لى خصاله ، فخطبها سهيل بن عمر ، وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاك سُهيلٌ وابن حرب وفيهما رضاً لك ياهندَ الهنودِ ومقنع
وما منهما إلا يُعاشُ بفضلـه وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزَّأٌ وما منهما إلا أغـر سميدَع [1]
فدونك فاختارى فأنت بصيرة ولا تخدعى إنّ المخادع يخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولكن فسر لى أمرهما ، وبين لى خصالهما ، حتى أختار لنفسى أشدهما موافقة لى ، فبدأ بذكر سهيل بن عمر ، فقال :

أما أحدهما – ففى ثروة واسعة من العيش ، إن تابَعْتِه تبعك ،وإن ملت عنه حط إليك ، تحكمن عليه فى أهله وماله .

وأما الآخر – فموسع عليه ، منظور إليه ، فى الحسب الحسيب والرأى الأريب ، مِدْرَهُ أَرُمته [2] ، وعِزُّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظهرة ، لاينام على ضعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشَرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ؛ فاطو ذكر هذا عنى ، ولا تسمِّه علىَّ بعد .

وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة [3] ، الحرة العفيفة ، وإنى للتى لا أريب

---

(١) السميدع : السيد الكريم السحى .

(٢) المِدْرَهُ كمِنْبر : السيد الشريف ، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة ، والأُرومة : الأصل .

(٣) الخريدة : البكر لم تمسس ، والحيِّة المتسترة ، طويلة السكوت ، خافضة الصوت .

له عشيرة فتعيره ، ولا تصيره بذعر فتضيره ، وإنى لأخلاق مثل هذا لموافقة فزوجنيه .

فزوجها من أبى سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد ، فقال فى ذلك سهيل بن عمرو :

نُبئت هندا تَبَّر الله سعيها ... تأبَّت وقالت : وصفُ أهوج مائق (١)
وما هَوَجى يا هندُ إلا سجية ... أُجُر لها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قَلُوصه ... ولاطَمْتُ بالبطحاء فى كل شارق (٢)
ولكننى أكرمت نفسى تكرما ... ودافعت عنها الذم عند الخلائق
وإنى إذا ماحرة ساء خُلْقُها ... صبرتُ عليها صبرَ آحر عاشق
فإن هى قالت : خل عنى تركتها ... وأَقْلِل بتركٍ من حبيب مفارق
فإن سامحونى قلت أمرى إليكم ... وإن أبعدونى كنت فى رأس حالق (٣)
فلم تنكحى يا هند مثلى وإننى ... لمن لم يمقنى فاعلمى غير وامق (٤)

فبلغ أبا سفيان ، فقال :

والله لو أعلم شيئا يرضى أبا زيد سوى طلاق هند لفعلته ! .

وألح سهيل فى تنقيص أبى سفيان ، فقال أبو سفيان :

رأيت سُهَيْلاً قد تفاوت شأْوُه ... وفرَّط فى العلياء كلَّ عِنان
وأصبح يسمو للمعالى وإنه ... لذو جفنةٍ مغشيةٍ وقيان (٥)
وشرب كرامٍ من لؤى بن غالب ... عراض المساعى عرضة الحدثان
ولكنه يوما إذا الحرب شمرت ... وأبرز فيها وجه كل حصان
فأكفيه مالا يستطاع دفاعه ... وألقيت فيها كلكلى وجرانى (٦)

(١) المائق : الذى كاد يبكى من شدة الغيظ .

(٢) القَلُوص من النوق : الشابة ، وهى بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قُلُص وقلائص ؛ ولذا نراهم يكنون عن الفتيات بالقلص ، والشارق : الشمس حين تشرق .

(٣) الحالق : الجبل المرتفع . (٤) الوامق : المحب ، وفعله : ومقه ، يمقه . أى أحبه .

(٥) جفنة مغشية أى : يعشاها الضيوف . دليل الكرم . والقيان جمع قينة وهى الأمة مغنية كانت أو غير مغنية ، وهى دليل السعة والثراء ، ولكنه مع هذا محتاج إلى من يكفيه مخاطر الحرب .

(٦) الكلكل : الصدر ، والجران : باطن العنق من البعير وغيره ، ويقال : ألقى عليه جرانه : أى ثقله .

وصية أبي سفيان وزوجه

لابنهما معاوية حين عمل لعمر

● .. ولما قدم معاويةُ من الشام وكان عمر قد استعمِله عليها (١) ، دخل على أمه هند ، فقالت له :

يابنى ، إنه قلما ولدت حُرَّةٌ مثلك ! ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته .

● ثم دخل على أبي سفيان ؛ فقال له :

يا بنى إن هؤلاء الرهط من المهاجرين (٢) سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقُهم ، وقصَّر بنا تأخُّرنا ، فصيرنا أتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك جسيما من أمرهم (٣) ؛ فلا تخالفنَّ أمرهم ؛ فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته ، لتنفست فيه (٤) .

سهيل وابن له :

يرحم الله هذا !

● قال : وتزوج سهيل بن عمرو امرأة ، فولدت له ولداً ؛ فبينا هو سائر معه إذ نظر إلى رجل يركبُ ناقة ، ويقود شاةً ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنة هذه ؟!! يريد الشاة ابنة الناقة ! فقال أبوه : يرحم الله هذا ! يعنى ما كان من فِراستها فيه .

---

(١) جعله عاملا له وواليا عليها . (٢) الرهط : الجماعة من الناس .

(٣) حملوك مسئولية الولاية والحكم وهى مسئولية جسيمة .

(٤) يتوقع له مستقبلا أعظم ، لم يبلغه بعد ، وعندما يتحقق تستريح نفسه .

الرسول ﷺ وأم هانىء :

خير نساء ركبن الإبل !

● وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله لو تزوجت أم هانىء بنت أبى طالب ، فقد جعل الله لها قرابة ، فتكون صهرا أيضا ! فخطبها رسول الله ﷺ فقالت : والله إنه لأحب إلى من سمعى وبصرى ، ولكن حقه عظيم ، وأنا موتمة [1] ؛ فإن قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامى ! وإن قمت بأمرهم قصرت عن حقه ! فقال النبى ﷺ : خير نساء ركبن الإبل نساءُ قريش ، أحناها على ولد فى صغره ، وأرعاها على بعل [2] فى ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثنيتها .

زواج الرسول ﷺ من حفصة :

شكوى عمر .. !!

● ولما توفيت رُقيةُ بنت رسول الله ﷺ عن عثمان بن عفان ، عرض عليه عمر ابنته حفصة ؛ فسكت عنه عثمان – وقد كان بلغه أن رسول الله ﷺ يريد أن يزوجه ابنته الأخرى – فشكا عمر إلى رسول الله ﷺ سكوت عثمان عنه ؛ فقال له : سيزوِّجُ الله ابنتك خيرا من عثمان ، ويزوج عثمان خيراً من ابنتك ! فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ، وتزوج عثمان ابنته .

---

(١) مُوتِمَة : صاحبة يتامى مات عنى زوجى وتركهم لى أرعاهم .
(٢) بعل : زوج .

خِطبته ﷺ لخديجة :

الزوج المثالى

● ولما خطب رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ، ذكرت ذلك لورقة بن نوفل – وهو ابن عمها – فقال : هو الفحل ، لايُقدع أنفه (١) ، تزوجيه .

خِطبة عمر بن الخطاب لأم كلثوم بنت أبى بكر :

لاحاجة لى فيه ! إنه خشن العيش شديد على النساء !

● .. وخطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبى بكر ، وهى صغيرة ، فأرسل عمر إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم قالت : لا حاجة لى فيه ! فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين (٢) ؟ قالت : نعم ، إنه خَشِنُ العيش ، شديد على النساء ! فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شُعبةَ فأخبرته فقال لها : أنا أكفيك (٣) ! فأتى عُمرَ فقال : ياأمير المؤمنين ، بلغنى عنك أمر أعيذك بالله منه ! قال : ماهو ؟ قال : بلغنى أنك خطبت أُمَّ كلثوم بنت أبى بكر ؟ قال: نعم ، أفرغبت بها عنى ، أم رغبت بى عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثة (٤) نشأت تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق ، وفيك غِلظة ، ونحن نهابُك وما نقدر أن نردَّك عن خلق من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك فى شىء فسطوت (٥) بها ؟! كنت

---

(١) قَدَعْته عنى : كففته بيدى أو بلسانى . وذاك فحل لا يقدع أى كريم لا يُرَدّ .

(٢) رغب عنه انصرف ولم يلتفت إليه ، وهى عكس رغب فيه فمعناها أقبل عليه .

(٣) أى أتولى عنك إخباره بما لا يسبب الحرج لكليكما .

(٤) صغيرة السن شابة .

(٥) سطوت بها : السطو القهر بالبطش .

قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق لك ! فقال : كيف لى بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على خير لك منها ، أم كلثوم بنت على من فاطمة بنت رسول الله ، تتعلق منها بسبب (١) من رسول الله ﷺ .

علىّ وعمر فى أم كلثوم

ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك

● وكان على (٢) قد عزل بناته (٣) لولد جعفر بن أبى طالب ، فلقيه عمر فقال : ياأبا الحسن ، أَنْكِحْنى ابنتك أمَّ كُلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قال : قد حبستها لابن جعفر ! قال إنه والله ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك به ، فأَنْكِحْنى يا أبا الحسن . قال : قد أنكحتكها يا أميرَ المؤمنين ! .

فأقبل عمر فجلس فى الروضة بين القبر والمنبر ، واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ، فقال : زفّونى ! قالوا بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأمِّ كُلثوم . فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب يتقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » ! وقد تقدمت لى صُحبةٌ ، فأحببت أن يكون لى معها سبب (٤) . فولدت له أم كلثوم زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر ؛ وزيد بن عمر هو الذى لطم سَمُرَة بن جندب عند معاوية إذ تنقص (٥) عليا فيما يقال .

---

(١) السبب : الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره .

(٢) ولد فى مكة سنة ٦٠٠ م ابن عم النبى ﷺ وصهره وبطل الإسلام ، وهو من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ .

(٣) أعدهن وخصصهن يقال . عزلهن ، وحبسهن كل ذلك بمعنى واحد .

(٤) نسب يوصلنى برسول الله ﷺ .

(٥) نال من قدره وعابه .

سلمان وعمر فى ابنته :

أمير المؤمنين يتواضع !!

● وخطب سلمان الفارسى إلى عمر ابنته ، فوعده بها ، فشق ذلك على عبد الله بن عمر ، فلقى عَمْرَو بنَ العاص فشكا ذلك إليه ، فقال له : فأكفيكه [١] فلقى سلمان ، فقال له : هنيئا لك يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل فى تزويجك ابنته ! فغضب سلمان وقال : والله لا تزوجت إليه أبداً ! .

زواج بلال وأخيه :

أنا بلال وهذا أخى قد مَنَّ الله علينا !

● وخرج بلال بن رَبَاح مؤذن رسول الله ﷺ مع أخيه إلى قوم من بنى ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال ، وهذا أخى .. كنا ضالَّيْن ؛ فهدانا الله ، وكنا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تُزَوِّجُونا ؛ فالحمد لله ؛ وإن تَردُّونا فالمُستَعانُ الله ! .

قالوا : نعم وكرامة [٢] ! فزوجوهما .

★ ★ ★

---

(١) أكفيكه : أتولى بدلا منك صرفه بطريقتى الخاصة .
(٢) نعم وكرامة :الكرامة العزازة .

زواج عثمان من نائلة :

مؤهلات ... ومواصفات !

● قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعُثمان بن عفان [١] : هل لك فى ابنة عم لى بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد [٢] ، أصيلة الرأى تتزوجها ؟ قال : نعم ، فذكرت له « نائلة بنت الفرافصة الكلبية » فتزوجها وهى نصرانية ، فتحنفت [٣] ، وحملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه ، قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، إنى من نسوة أَحَبُّ أزواجِهنَّ إليهن الكهل ! قال : إنى قد جُزْت [٤] الكهول ، وأنا شيخ ! . قالت : أذهبت شبابك مع رسول الله ﷺ فى خير ما ذهبت فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك من أرض السماوة وأريد أن أنثنى إلى عرض البيت ! وقامت إليه . فقال لها : آنزعى ثيابك . فنزعتها ؛ فقال : حلى مِرطك [٥]. قالت : أنت وذاك .

● قال الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل ؛ فلما دُخِل إليه ، وقته بيدها ، فجذمت أناملها [٦] ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه ما ترجو من امرأة جذماء ! .

● وقيل : إنها قالت لما قتل عثمان : إنى رأيت الحزن يَبْلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبى ! فدعت بفهر [٧] فهتمت فاها ! وقالت : والله لاقعد أحد منى مقعد عثمان أبدا !! .

---

(١) ثالث الخلفاء الراشدين ، سمى ذا النورين لزواجه بابنتى النبى ﷺ .
(٢) أسيلة الخد : أى لينة الخد مع طوله ، وكل مسترسل فهو أسيل .
(٣) تحنف اعتزل عبادته ومال عنها ، والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .
(٤) أى تعديت سن الكهولة ، وسن الكهولة بين الثلاثين والخمسين تقريبا .
(٥) المرط : كل ثوب غير مخيط ، كساء من صوف ونحوه يؤتزر به .
(٦) جذمت : قطعت ، وامرأة جذماء مقطوعة اليد أو الأنامل .
(٧) الفِهر بكسر الفاء : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ويؤنث وجمعه أفهار .

فاطمة بنت الحسين بن على وابن عمرو

كفّى عن وجهك ؛ فإن لنا به حاجةً !!

● وكانت فاطمة بنت الحسين بن على عند حسن بن حسن بن على ، فلما احتُضِر [1] قال لبعض أهله : كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى إزاز له موردٍ قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابن عمى ، وليس يريد إلا النظر إلىٰ فاطمة ، فإذا جاء فلا يدْخلن ! .

قال : فو الله ما هو إلا أن أغمضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو فى تلك الصفة التى وصفها ، فمنع ساعة ، فقال بعض القوم : لا يدخل وقال بعضهم : افتحوا له ؛ فإن مثله لا يُرَدُّ . ففتحوا له ، ودخل ؛ فلما صرنا إلى القبر قامت عليه تبكى ، ثم اطلعت إلى القبر فجعلت تصك وجهها بيديها حاسرة [2] ؛ قال : فدعا عبد الله بن عمرو وصيفا له فقال : إنطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يقرئك ابن عمك السلام ويقول لك : كفى عن وجهك ، فإن لنا به حاجة ! فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما فى كميها حتى انصرف الناس .

فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ؛ وكان يسمى المُذَهَّب ، لجماله ؛ وكانت ولدت من حسن بن حسن ، عبد الله بن حسن الذى حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلهما .

---

(١) احتضر : حضرته الوفاة .

(٢) تصك وجهها : تصربه ، وفى القرآن : ﴿ فصكت وجهها ﴾ وحاسرة : مكشوفة الوجه والانحسار : الانكشاف .

محمد بن عبد الله بن عمرو :

كرم الأصل وشرف النسب

● وعن سلمة بن محارب قال : ما رأيت قرشيا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمة بنت الحسين .

وكانت له ابنة ولدها رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير [١] : كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت رسول ﷺ ، وأم فاطمة بنت الحسين أمُّ إسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عمر بن الخطاب .

شريح والشعبى فى نساء تميم [٢] :

خير زوجة !

● وعن الهيثم بن عدى الطائى قال : حدثنا مجالد عن الشعبى قال : قال لى شريح : يا شعبى ، عليك بنساء بنى تميم ؛ فإنى رأيت لهن عقولاً ، قال : وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أَقْبَلْتُ من جنازة ظهراً فمررت بدُورِهم ؛ فإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلت ، فاستسقيت وما بى عطش ، فقالت : أى الشراب أحبُّ

---

(١) أى كانت من نسلهم ، وسلالتهم ، واجتمع لها هذا الحسب والنسب ؛ فهى تنتمى إليهم وتنتسب ، كما هو مبين بعد .

(٢) تميم : قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية ولغتها حجة بين لغات القبائل . والشعبى أبو عامر بن شراحيل تابعى محدث . كان مستشار الخلفاء ، وهو عَلَّامة الكوفة . روى عن على وأبى هريرة وعائشة . ومن تلاميذه أبو حنيفة .

إليك ؟ فقلت : ما تيسر . قالت : ويحك ياجارية ! ائتيه بلبن ؛ فإنى أظن الرجل غريباً ! قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب ابنة جرير ، إحدى نساء حنظلة .

قلت : فارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زَوِّجينيها .

قالت : إن كنت لها كفئا ، ولم تقل كفوا ، وهى لغة تميم – فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل ، فامتنعت منى القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت بأيدى إخوانى من القراء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى ابن عرفطة ، ومضيت أريد عمها ، فاستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك . قال : ما بها رغبة عنك [١] ! فأَنكَحنيها ، فلما صارت فى حبالى ندمتُ ، وقلت : أى شيءٍ صنعتُ بنساء بنى تميم ؟ وذكرت غلظ قلوبهن ، فقلت أطلقها ! ثم قلت : لا ، ولكن أضمها إلى ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان كذلك . فلو رأيتنى يا شعبى وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت على ، فقلت : إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله من خيرها ، ويعوذ من شرها ، فصليت وسلمت ، فإذا هى من خلفى تصلى بصلاتى ، فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها ، فأخذن ثيابى ، وألبسننى ملحفة قد صبغت فى عكر العصفر .

فلما خلا البيت دنوت منها ، فمددت يدى إلى ناحيتها ، فقالت : على رِسْلِك [٢] أبا أمية ! كما أنت ! ثم قالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه ، وما تكره فأَزْدَجِرَ عنه .. وقالت : إنه قد كان لك فى قومك مَنْكَحٌ [٣] ، وفى قومى مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمرا كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ [٤] . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك .

---

(١) أى لا ترغب فى غيرك ، وهى راغبة فيك .
(٢) على رِسْلِك : أى اتئد وتأنَّ .
(٣) أى تزوجتَ من قومك قبلى   (٤) البقرة : ٢٢٩ .

... قال : فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأُصلى على النبى وآله وأُسَلِّم ، وبعد ، فإنك قد قلتِ كلاما إن تثبتى عليه يكن ذلك حَظَّكِ ، وإن تدعيه يكن حجةً عليك ؛ أحب كذا ، وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرقى ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

وقالت شيئا لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أُحِبُّ أن يَمَلَّنى أصهارى . قالت فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذنُ لهم ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبت يا شعبى بأنعم ليلة ، ومكثت معى حولا لا أرى إلا ماأحب ، فلما كان رأسُ الحول [1] جئت من مجلس القضاءِ ؛ فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى الدار ! فقلت : مَن هذه ؟ قالوا : فلانة ختنك [2] ، فسرى عنى ما كنت أجد ، فلما جلست ، أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعَلَيْكِ السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة ختنك . قلت : قربك الله . قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . فقالت لى : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ منها فى حالتين : إذا ولدت غلاما ، أو حظيت عند زوجها ؛ فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدبَ ، ورُضْت فأحسنت الرياضة . قالت : تحب أن يزورك ختانُك ؟ قلت : متى شاءوا . قال : فكانت تأتينى فى رأس كل حول توصينى تلك الوصية .

فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء إلا مرّة واحدة ، وكنت لها ظالما : أخذ المؤذن فى الإقامة بعد ما صليت ركعتى الفجر ، وكنت

---

(١) آخر العام . وسمى العام حولا ؛ لأنه يضم فصولا أربعة ، يتحول فيها الجو من حال إلى حال .

(٢) ختن الإنسان : أصهاره وكل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت ، وزوج الأخت وأم الزوجة كما هنا .

إمام الحيّ ، فإذا بعقربْ تدب ، فأخذت الإناء فأكفأته عليها .

ثم قلت : يازينب ، لا تتحركى حتى آتى ! فلو شهدتنى يا شعبى وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالسكت والملح ، فجعلت أمغث (١) أصبعها ، وأقرأ عليها بالحمد والمُعوذَتين .

● وكان لى جار منَ كندة يُفَزِّع امرأته ويضربها :

فقلت فى ذلك :

كُنتم زعمتم أنها ظَلمتكم   كذَبتُم وبيت الله بَلْ تَظلمونَها
فإن لاتعدُّوا أمَّها من نسائِكم   فإن أباها والدٌ لن يَشينَها
وإنَّ لها أعمامَ صدقٍ وإخوةً   وشيخاً إذا شِئتُم تأيَّم دونها (٢)

قالت النوار : فإذاً لانشاء ! .

لمعاذ بن جبل :

فتنة الضراء وفتنة السراء !

● وعن رجاء بن حَيْوَة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم من فتنة السراء : وهى النساء ، إذا تحلين بالذهب ، ولَبسنَ رَيْطَ الشام (٣) ، وعصب اليمن ، فأُتعبن الغنى ، وكلَّفن الفقير ما لا يطاق .

● وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة ليتخذها بربرية ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد للخدمة ليتخذها رومية .

---

(١) أمغث إصبَعَها : المغْثُ المرت ، والضرب الخفيف و الدلك .

(٢) تأيم : مَكث زمانا لا يتزوج .

(٣) رِيْط : جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجا واحداً .

لابن هبــيرة :

مواصفات !

● عن أبى الحسن المدائنى قال : قال يزيد بن عمر بن هبيرة : اشتروا لى جارية شَقَّاء ، مقَّاء ، رَسْحَاء ، بعيدة ما بين المنكبين ، ممسوحة الفخذين (١) .

● وقال الأصمعى – وذكر النساء – بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رءوس الأبطال كابن الأعجمية .

★ ★ ★

يونس ومستشير له فى الزواج:

إياك أن تقع فى قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم !!

● أبو حاتم الأصمعى عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت : يا بن أخى ، إنى أعرف فى العين إذا عَرفَتْ ، وأنكر فيها إذا أنكرَتْ ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر : أما إذا عرفت فتتحاوص (٢) ، وأما إذا أنكرت فتجحظ (٣) ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو (٤) ؛ وقد رأيت عينك ساجية ؛ فالقصيرة النسب التى إذا ذكرت أباها اكتفت به ، والطويلة النسب التى تُعرف حين تطيل فى نسبتها ، فإياك أن تقع فى قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم ؛ فتضيع نفسك فيهم ! .

---

(١) شَقَّاء : يريد كأنها شقة حبل ، مقاء . طويلة ، رسحاء : صغيرة العجيزة أرادها للولد ؛ لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة ؛ فقد قال عمر بن هبيرة لرحل · ماأنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا .

(٢) تتحاوص : الحوصُ ضيق فى مُؤْخرة العينين أو فى إحداهما ، والالتفاف حول الشيء .

(٣) تجحظ : يقال : جحظت عينه إذا خرجت مقلتها أو عظمت .

(٤) تسجو : تسكن . ومنه البحر والطرف الساجى ؛ وامرأة سجواء الطرف .

الوليد وعقائله [1] :

نطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره !

● وعن العتبى قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لُبابَة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث .

فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن ، فاجتمعن يوما .

● فقالت لبابة : أما والله إنك لتسوينى بهن ، وأنت تعرف فضلى عليهن ! .

● وقالت بنت سعيد بن العاص [2] ، أما كنت أرى أن للفخر على مجازا ، وأنا ابنة ذى العمامة ؛ إذ لاعمامة غيرها ! .

● وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أُحِبُّ بأبى بدلاً ، ولو شئت لقلت فصدَقْتُ وَصُدِّقْتُ ! .

● وكانت بنت يزيد بن معاوية [3] جاريةً حديثة السن ، فلم تتكلم ، فتكلم عنها الوليد فقال :

● نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقالت :

● أنا ابنة قادتكم فى الجاهلية ، وخلفائكم فى الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحدِّث به فى مجلس ابن عباس ، فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

---

(١) عقائله: زوجاته . جمع عقيلة .

(٢) حاكم الكوفة والمدينة أيام معاوية ، قاد الجيوش فى طبرستان وجرجان ، وتوفى فى العقيق ٦٨٨ م .

(٣) الخليفة الثانى الأموى اشتهر بتهتكه ومجونه .

للحجاج فى نسوته :

هــذه ليلتى !

● الشيبانى عن عوانة : قال : ذكر النساء عند الحجاج ، فقال : عندى أربع نسوة : هند بنت المهلَّب ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله البجلى ، فأما ليلتى عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان ، يلعب ويلعبون ، وأما ليلتى عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك ، وأما ليلتى عند أم الجلاس فليلة أعرابى مع أعراب فى حديثهم وأشعارهم . وأما ليلتى عند أمة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء .

أبو الحر المخنث :

وفر الله لحيتك .. أبا الحر !

● وعن العتبى قال : حدثنى رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة مخنث يدل على النساء (١) ، يقال له : أبو الحر ، وكان منقطعا إلى ، فدلنى على غيرما امرأة أتزوجها ، فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرته يوماً (٢) ، فقال : والله يامولاى لأدلنك على امرأة لم تر مثلها قط ، فإن لم تر كما وصفت فاحلق لحيتى ! فدلنى على امرأة فتزوجتها ، فلما زفت إلى وجدتها أكثر مما وصف ، فلما كان فى السحر إذا إنسان يدق الباب ، فقلت من هذا ؟ قال : أبو الحر ، وهذا هو الحجام (٣) معه ، فقلت : قد وفر الله لحيتك أبا الحر ، الأمر كما قلت ! .

* * *

---

(١) يقوم بترشيح النساء لمريدى الزواج (أشبه بالخاطبة فى مجتمعنا) .

(٢) استقصرته : نسبت إليه التقصير .

(٣) الحجَّام : من سيقوم بحلق دقنه إذا لم تحظ المرأة بالقبول . والحجامة : امتصاص الدماء بالمحجم . وقد كان الحجام يقوم بما يشبه عمل حلاق الصحة فى القرى يحجم ، ويفصد ، ويختن ، ويحلق ! .

• للرسول ﷺ فى مخنث :

تقبل بأربع وتدبر بثمان !

• ابن بكير عن مالك بن هشام بن عروة عن أبيه : أن مخنثا كان عند أم سلمة زوج النبى ﷺ ، فقال لعبد الله بن أبى أمية ورسول الله ﷺ يسمع : أبا عبد الله ، إن فتح الله لكم الطائف غدا فأنا أدلك على بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ! (١) .

فقال رسول الله ﷺ : « لايدخل عليكن هؤلاء » .

رجل من أهل الكوفة وابنة عمه :

الله أجل فى قلبى وأعظم !!

• وضرب البعث (٢) على رجل من أهل الكوفة ، فخرج إلى أذربيجان ، فاقتاد جارية وفرسا ، وكان مملكا بابنة عمه ، فكتب إليها ليغيرها :

ألا أبلغوا أم البنين بأننا ... غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد (٣)
بعيدُ مَنـاطِ المنكبين إذا جرى ... وبيضاء كالتمثال زينها العِقْدُ
فهذا لأيــام العـدو وهـذه ... لحاجة نفسى حين ينصرف الجندُ

---

(١) تقبل بأربع وتدبر بثمان ، يريد عكن البطن ، أنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان . والعكن ما انطوى وتثنى من لحم البطن . يقصد : أنها سمينة ممتلئة .

(٢) بعثه : أرسله ، والبعث : الجيش .

(٣) الغطارفة : جمع غطريف وهو السيد الشريف ، والمرد : جمع أمرد .. وهو من لا شعر فى ذقنه .

فلما ورد كتابه قرأته وقالت : ياغلام ، هات الدواة ، فكتبت إليه تجيبه :

ألا أقرِهِ السلامَ وقل له ... غنينا – ففيقوا – بالغطارفة المرد
بحمد أمير المؤمنين أقرَّهُم ... شباباً – وأغزاكم – خوالف فى الجند
إذا شئت غنانى غلام مُرَجَّلٌ ... ونازعته من ماء مُعتَصَر الورد
وإن شاء منهم ناشِيء مَدَّكفَّه ... إلى كبدٍ ملساءَ أو كفل نَهْدِ
فما كنتم تقضون من حاج أهلكم ... شهوراً قضيناها على النأى والبُعْدِ (١)

فلما ورد كتابها ، لم يزد على أن ركب فرسه ، وأردف الجارية ، وألحق بها ، فكان أول شيء بدأ لها به السلام أن قال :

بالله هل كنت فاعلة ؟ .

قالت : الله أجَلُّ فى قلبى وأعظم ، وأنت فى عينى أذلُّ وأحقر من أن أعصى الله فيك (٢) ! فكيف ذقت طعم الغَيْرَةِ ؟! .

فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه .

★ ★ ★

---

(١) لقد أثار غيرتها بجاريته ، فأثارته هى الأخرى – كلاما – بغلام مُرحل الشعر إذا شاءت مكنته مما أحله الله للزوج ! .

(٢) لقد بلغت قمة مراقبة الله عندما قالت : الله أجل فى قلبى وأعظم ! وأعطت للأزواج الذين لا يصونون حق الزوجية درسا يلفتهم إلى ما ينبغى اتباعه مع أم الأولاد ، وما أجمل قولها : وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك ، فكيف ذقت طعم الغيرة ؟! .. وهكذا يعود الزوج إلى نفسه بعد هذا الدرس ويهب الجارية لزوجته

• معاوية وابن صوحان :

(أ) أيُّ النساء أشهى إليك ؟!

... وقال معاوية [١] لصعصعةَ [٢] بن صوحان : أيُّ النساء أشهى إليك ؟ .

قال : المواتية لك فيما تهوى [٣] .

قال : فأيهن أبغض إليك ؟ .

قال : أبعدهن مما ترضى .

قال : هذا النقد العاجل ! .

فقال صعصعة : بالميزان العادل ! .

(ب) إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام !!

وقال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف ننسبك إلى العقل ، وقد غلب عليك نصف إنسان ؟! . يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه ، فقال معاوية :

إنَّهُن يَغلِبْنَ الكرام ، ويغلبهن اللئام .

---

(١) هو ابن أبي سفيان ، كان واليا على دمشق زمن الخليفتين : عمر وعثمان . وهو مؤسس الدولة الأموية سنة ٦٨٣ هـ .

(٢) من المشاهير في معرفة أنساب العرب .

(٣) التي تكون كما يهوى الإنسان ، وتحقق له ما يأمله في المرأة .

• جرير البجلى وابن الخطاب :

إن بين جوانحك لَعلماً

وعن سفيان بن عُيَينة قال :

• شكا جرير بن عبد الله البجلى إلى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك [١] ؛ فإن التى عِندى ربما خرجت من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لقيان [٢] بنى عدى .

فسمع كلامَهما ابن مسعود فقال :

لا عليكما ؛ فإن إبراهيم الخليل شكا إلى ربه رداءة فى خلق سارة ، فأوحى الله إليه : أن البسها على لباسها ما لم تر فى دينها وصمة [٣] .

فقال عمر : إن بين جوانحك لَعِلْماً ! .

الحجاج [٤] وابن القُرَيَّة :

بم يكمل جمال المرأة ؟!

• .. وكتب الحجاج إلى ابن القرية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة فى قومها ، ذليلة فى نفسها ، مواتية لبعلها .

---

(١) لا حرج عليك ولا بأس .

(٢) القيان جمع قينة ، وهى الجارية ، معَنِّية أو غير مغنية .

(٣) وصمة : عيب ونقص ، وانحراف ، وعلى الإنسان أن يتقبل من زوجته ما لا يرضيه منها ، فإن كره منها شيئا أحب آخر ، إلا إذا كان ما يعيبه منها متعلقا بالدين .

(٤) الحجاج بن يوسف أحد ولاة الأمويين على الحجاز ، وعند ثورة مصعب بن الزبير رمى الكعبة بالمنجنيق . ثم تولى على العراق فأخمد الفتن بقوة . ويعد من أكبر طغاة الولاة .

فكتب إليه : قد أصبتُها لولا عظم ثدييها ! .

فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها ؛ فتدفىء الضجيع ، وتروى الرضيع ! .

أبو العباس وابن صفوان :

أعجب النساء

● وقال أبو الغباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : ياخالد ، إن الناس قد أكثروا فى النساء[1] ، فأيهن أعجب إليك ؟ .

قال : أعجبهن يا أمير المؤمنين التى ليست بالضرع الصغير ولا الفانية الكبير ، وحسبك من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، كانت فى نعمة ، ثم أصابتها فاقة ، فأترفها الغنى ، وأدبها الفقر .

ابن صفوان وامرأة :

أريدها بكراً كثيب ، أو ثيبا كبكر !

● .. ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى المسجد بالبصرة ، فقال : ما هذه الجماعة ؟ .

قالوا : على امرأة تَدُلُّ على النساء فأتاها ؛ فقال لها : ابغنى امرأة .

---

(١) قالوا الكثير فيهن .

قالت : صفها لى .

قال : أريدها بكرا كثيب ، أو ثيبا كبكر ، حلوة من قريب ، فخمة من بعيد ، كانت فى نعمة ، فأصابتها فاقة ، فمعها أدب النعمة ، وذل الحاجة ، فإذ اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كِنا أهل آخرة .

قالت : لقد أصبتها لك .

قال : وأين هى ؟ .

فى الرفيـق الأعلى من الجنة فاعمل لها (١) .

لأعرابى فى النساء :

أفضل النساء ..

● وسئل أعرابى فى النساء ، وكان ذا تجربة وعِلْم بهنَّ ؛ فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ؛ التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئا جودت ؛ التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

غطفانى وعبد الملك :

أحسن النساء

● وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صف لى أحسن

---

(١) هذه المثالية لا وجود لها إلا فى الجنة من بين الحور العين ، فعليه أن يستعد بالعمل الصالح حتى تكون من نصيبه .

النساء . قال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، رَدْمَاءُ الكعبين (١) ، مملوءة الساقين ، جَمَّاء الركبتين (٢) ، لفَّاء الفخذين ، مقرمدة الرُّفغين (٣) ، ناعمة الألْيَتين (٤) ، منيفة المأكمتين (٥) ، فعمة (٦) العضدين ، فخمة الذراعين ، رَخْصَة (٧) الكفين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زَجَّاء (٨) الحاجبين ، لمياء الشفتين (٩) ، بلجاء الجبين (١٠) ، شماء العرنين (١١)، شنباء (١٢) الثغر ، حالكة الشَّعْر ، غيداء العنق (١٣) ، عيناء العينين (١٤) مكسرة البطن ، ناتئة الركب .

فقال : ويحك ! وأنَّى توجد هذه ؟ .

قال : تجدها فى خالص العرب ، أو فى خالص الفُرس .

---

(١) أى ليس بهما شقوق .

(٢) الشاة الجمَّاء التى لا قرن لها ، ويقصد أن ركبتيها غير بارزتين وليس عظمهما ناتئا .

(٣) الرفغ كما قال ابن السكيت هو : أصل الفخذ وهو بضم الراء مثل قفل وأقفال لغة أهل الحجاز وبفتحها لغة تميم والجمع رفوع وأرفغ مثل : فَلْس وفلوس وأفلس . وثوب مقرمد بالطيب والزعفران أى مطلى به .

(٤) الألية . ألية الشاه وهى مفتوحة الهمزة ، ولا يقال : لية والجمع أليات وامرأة عجزاء قال ثعلب : والقياس أليانة .

(٥) المأكمُ والمأكمةُ وتكسر كافها : لحمة على راس الورك وهما اثنتان أو لحمتان وصلتا بين العجز والمتنين ويقصد أنها عظيمة المأكمتين .

(٦) فعم الساعد والإناء : امتلأ . وفعمت المرأة : استوى خلقها ، وغلظ ساقها فهى فعمة .

(٧) ناعمة الكفين لينتهما .

(٨) إذا رق حاجب المرأة فى طول فهى زَجَّاء والحاجب أزَجّ والتزجيج حف ما حول الحاجبين من الشعر وإطالتهما بالإثمد .

(٩) اللَّمَى : سواد بالشفة . والتلمية خضاب الشفاه بالإثمد حتى تحكى اللمى الطبيعى .

(١٠) تبلج الصبح أشرق وأنار . والبلج تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين ويقصد أن فى جبينها إشراقا ونورًا .

(١١) العرنين الأنف وشماء عالية ويقصد أن فيها عزة وامرأة شماء عالية الأنف .

(١٢) الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

(١٣) الغَيد : ميل العنق ولين الأعطاف والغادة المرأة اللينة البينة الغيد .

(١٤) عيناء العينين : حسنة العينين ، ومنه الحور العين .

أقوال فى هذا المجال :

١ – قال رجل لخاطب : ابغنى امرأة لا تؤنس جاراً ، ولا توهن دارا ، ولا تثقب نارا .

يريد : لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تغرى بينهم بالشر .

٢ – وفى نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها
فى ساحة الدار لا بعل ولا جارٌ .

٣ – وقال الأعشى :

لم تمش ميلا ولم تركب على جملِ ولا ترى الشمس إلا دونها الكلل [١]

٤ – وقال آخر :

ابغنى امرأة بيضاء مديدة ، فرعاء [٢] جعدة ، تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مشاشة [٣] منكبيها ، وحلمتى ثدييها ، ورانفتى [٤] أليتيها .

٥ – وقال الشاعر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

٦ – ولآخر :

---

(١) الكِلَل : جمع كِلة . ما يشبه الستائر ونحوها مما يكون فوق الأسرة ونسميها نحن المصريين (الناموسية) .

(٢) فرعاء : تامة الشعر . وجعد الشعر بضم العين وكسرها إذا كان فيه التواء وتقبض خلاف المسترسل ، شعرها « مموَّج » .

(٣) المشاشة بالضم : رأس العظم الممكن المضغ .

(٤) الرانفة : أسفل الألية إذا كنت قائما

إذا انبطحت فوق الأثافى[1] رفعنها
بثديين فى نحر عريض وكعثب

٧ – ونظر عمران بن حطان إلى امرأته وكانت من أجمل النساء وكان من أقبح الرجال فقال :

إنى وإياك فى الجنة إن شاء الله ! .

قالت له : كيف ذاك ؟ .

قال : إنى أعطيت مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلى فصبرت ! .

من أخبار عائشة بنت طلحة :

صان الله ذلك الوجه

١ – ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة فقال : سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك ، والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله ﷺ .

وكان معاوية من أحسن الناس وجها .

٢ – ونظر ابن أبى ذؤيب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ .

فقالت :

من اللاءِ لم يَحجُجن يبغين حِسْبَةً[2] ولكن ليقتلن البرىءَ المغفلا

فقال لها : صان الله ذلك الوجه عن النار ! .

فقيل له : أفتنتك أبا عبد الله ؟ .

---

(١) الأثافى : جمع أُثفِيّة بالضم ويكسر الحجر يوضع عليه القدر . والكعثب : الرَّكَبُ الضخم . زعم أنها إذا بطحت على وجهها لم تمسَّ الأرض شىء من سائر جسدها إلا نهود ثدييها ، وعظم رَكَبها فصارت لبدنها كأثافى القِدر .

(٢) الحسبة بكسر الحاء : احتساب الأجر على الله وادخاره عنده لا يرجو ثواب الدنيا واللاء ، واللاتى بمعنى واحد .

قال : لا ؛ ولكن الحسن مرحوم .

٣ – وقال يونس : أخبرنى محمد بن إسحق قال : دخلتُ عَلَى عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة ، ولو أن بختية [١] نوخت خلفها ما ظهرت .

٤ – السرى بن إسماعيل عن الشعبى قال : إنى لفى المسجد نصف النهار إذ سمعت باب القصر يفتح ؛ فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة فقال : يا شعبىُّ اتبعنى . فاتبعته ؛ فأتى دار موسى بن طلحة ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبى اتبعنى ، فإذا امرأة جالسة عليها من الحلى والجواهر ، ما لم أر مثله ، ولَهِىَ أحسنُ من الحُلِىّ الذى عليها .

فقال : يا شعبّى ، هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :

ومازلت من ليلى لدُن طرَّ [٢] شاربى
إلى اليوم أُخفى حُبَّها وأُدَاجِنُ [٣]
وأحمل فى لَيلَى لقومٍ ضَغينة
وتُحمَلُ فى لَيلَى على الضغائنُ [٤]

هذه عائشة ابنةُ طلحة ، فقالت له : أما إذ جلوتنى عليه فأحسن إليه ! .

فقال : يا شعبى ، رُح العشية إلى المسجد ، فرحت ، فقال : يا شعبى ، ما ينبغى لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف فأمر لى بها ، وبكسوة ، وقارورة غالية ، فقيل للشعبى فى ذلك اليوم : كيف الحال ؟! .

قال : وكيف حال من صَدَر عن الأمير ببدرة [٥] ، وكسوة ، وقارورة غالية [٦] ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة ! .

---

(١) البُخْتُ : نوع من الأبل . والواحدة بختية ، ونوخت . أناخت : بركت يقصد ضخامتها .
(٢) لَدُن طرَّشاربى · لدن ظرف مكان بمعنى عند وقد يستعمل فى الزمان ، وطرشاربه نبت ، ويقصد منذ بلوغه .
(٣) داجنة مداجنة : داهنة ، وحاتله .
(٤) أعادى فى حبها وأعادَى من أجلها .
(٥) البَدْرة : عشرة آلاف درهم ، والكمية العظيمة من المال ، والكيس الموضوعة فيه .
(٦) الغالية : أخلاط من العطور والروائح ذات الشذى الفواح .

أحسن ما وصفه واصف بنظم أو شعر :

زواج عَمْرو بن حُجْر من بنت عوف

ما وراءك يا عصام ؟!

وكان عَمْرو بن حُجْر ملك كندة – وهو جد امرىء القيس – أراد أن يتزوج ابنة عوف بن مُحَلَّم الشيبانى الذى يقال فيه : « لا حُرَّ بوادى عوف » ؛ لإفراط عزه ، وهى أم إياس ، وكانت ذات جمال وكمال ؛ فوجه إليها امرأة يقال لها : « عصام » لتنظر إليها وتمتحن ما بلغهُ عنها .

فدخلت على أمها أُمامَةَ بنت الحرْث ، فأعلمتها ما قَدِمت له ؛ فأرسلت إلى ابنتها ... ؛ فقالت : أى بُنيَّةُ ، هذه خالتك أتَت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تسترى عنها شيئا أرادت النظر إليه : من وَجْه ، وخلق ، وناطقيها فيما استنطقتك فيه . فدخلت « عصامُ » عليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينها مثله قَطُّ بهجة وحسنا وجمالا ، وإذا هى أكمل الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا ، فخرجت من عندها وهى تقول :

« ترك الخِداعَ من كشف القِناع » . فذهبت مثلا .

ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : « ما وراءَك ياعصامُ » ؟ . فأرسلها مثلا .

قالت : « صرح المِخَضُّ عن الزبد [١] » . فذهبت مثلا . قال : أخبرينى .

قالت : أخبرك حقا وصدقا :

---

(١) مثل يقال للأمر إذا انكشف وتبين . والمخَضُّ : الوعاء الذى يضرب ويحرك فيه اللبن حتى يخرج منه الزبد ، والمراد أنها نضجت ، واستوت .

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل (١) المضفورة إن أرْسَلَتْه (٢) خِلتَه السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلاه الوابل (٣) ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطَّا بقلم ، أو سُوِّدَا بحمم (٤) ، قد تقوسا على مثل عين العبهرة (٥) ، التى لم يَرُعْها قانص ، ولم يُذْرها قسورة ، بينهما أنف كحد السيف المصقول ، لم يخنس به قصر ، ولم يُمعِن به طول ، حفت به وجنتان كالأرجُوان ، فى بياض محض كالجُمان ، شُقَّ فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غُر ذوات أشر ، وأسنان كالدر ، وريق كالخمر ، له نشر الروض بالسحر ، ينقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ... يقلبه به عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى دونه شفتان حمراوان كالورد يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ، رُكِّبَ فى صدر تمثال دُمية ، يتصل به عضدان ممتلئان لحما ، مكتنزان شحما ، وذراعان ليس فيهما عظم يحس ، ولا عرق يُجَس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما ، لين عصبهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركَّب الفصوص فى حفر المفاصل ،وقد تربع فى صدرها حقان كأنهما رمانتان .. يخرقان عليها ثيابها ، من تحته بطن طوى كطى الطباطبى المدمجة ، كسى عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو ، خلف ذلك ظهر كالجدول ، ينتهى إلى خصر لولا رحمة الله لا نخذل ، تحته كفَل يُقعدها إذا نهضت ،

---

(١) الذنب : الذيل .

(٢) تركته مرسلا دون أن تضفره .

(٣) الوابل : المطر الشديد . وتقصد لمعان شعرها وصفاءه .

(٤) الحُمَمَة : بوزن رُطَبَة : ما أحرق من خشب ونحوه . والجمع بحذف الهاء ويقصد كأنما سودا بفحم . (وتقوم أقلام الكحل فى عصرنا بهذه المهمة) .

(٥) العبهرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم والجامعة للحسن فى الجسم والخلق ، وقد كان العرب يشبهون عيون المرأة بعيون المها – بقر الوحش – ويرعها : يخفها ، والقسورة الأسد . ويخنس : يتأخر ، والخنَسَ تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . والجُمان : الفضة . وغُرّ : بيضاء . والأشر : تباعد ما بين الأسنان . والنشر : الرائحة العطرة .

ويُنهضها إذا قعدت [1] ، كأنه دِعصُ [2] رمل ، لبده سقوط الطل ، يحمله فخذان لفاوان ، كأنهما نضيد الجُمان [3] ، تحملان ساقان خدلَّجتان [4] ، وشيتا [5] بشعر أسود كأنه حلق الزرد [6] ، ويحمل ذلك قدمان كحذْو اللسان ، تبارك الله ، مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما ، فأما ما سوى ذلك ، فتركت أن أصفه غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو شعر .

قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها ، فكان من أمرهما ما تقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب .

الفرزدق وأمة له :

وقال الفرزدق فى أمته الزنجية

يارُبَّ خَوْدٍ من بنات الزنج تنقل تُنُوراً شـديد الوهـج [8]
أغيرَ مثل القدح الخلنـــج يزداد طيبا بعـد طول الهرج [9]

يَعْلَى الهُذَلىّ وطلحة الطلحات :

أَقدم أُزَوِّجْك ابنتى وأصنعْ بك ماأنت أُهله !

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال : حدثنا يعلى الهذلى قال :

---

(١) العكس : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمَناً . والمُدْهن : آلة الدهن وقارورته والجدول : النهر الصغير ، والكفل : العَجُز ، ومؤخرة الظهر من المرأة وعجيزتها .

(٢) الدعص : الكثيب والمجتمع من الرمل المستدير .

(٣) نضيد الجُمان : اللؤلؤ المنظوم ، والفصة النضيدة التى يكون بعضها فوق بعض .

(٤) خَدَلَّجتان : مملوءتان . والخَدَلَّجةُ : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .

(٥) وُشِّيتا : حليتا وزينتا

(٦) الزرد : الدرع المزرودة .

(٧) هو أبو فراس همام بن غالب التيمى ، أحد الشعراء البارزين فى العصر الأموى .

(٨) الخود : المرأة الشابة . والتنور : تجويفة اسطوانية من فخار تجعل فى الأرض ويخبز فيها .

(٩) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الآنية ، والهرج الاختلاط وهرج جاريته جامعها .

كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أر أحدا كان أسخى منه ولا أشرق نفسا ؛ فكتب إلىَّ عمى من البصرة : إنى قد كبرت ، ومالى كثير ، وأكره أن أوكله غيرك فأقدم أزوجك ابنتى وأصنع بك ما أنت أهله .

قال فخرجت على بغلة لى تركية فأتيت البصرة فى ثلاثين يوما ، ووافيته فى صلاة العصر ، فوجدته قاعدا على دكانه ، فسلمت عليه فقال لى : من أنت ؟ قلت ابن أخيك يَعلى ، قال : وأين ثقلك (١) ؟ .

قلت : تعجلت إليك حين أتانى كتابك ، وطربت نحوكم . قال : يابن أخى ، أتدرى ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب : شر الفتيان المفلس الطروب ! قال فقمت إلى بغلتى ، فأعددت سرجى عليها ، فما قال لى شيئا ، ثم قال : إلى أين ؟ قلت : إلى « سجستان » . قال : فى كنف الله .

قال : فخرجت فبت فى الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفت أسأل عنها ، حتى أتيت منزلها – وكان طلحة أبَرَّ الناس بها – فقلت : رسول طلحة ، فقالت : ائذنوا له . فدخلت ، فقالت : ويحك ! كيف آبنى ؟ قلت : على أحسن حال . قالت : فلله الحمد ! وإذا بعجوز قد تحدرت ، قالت : فما جاء بك ؟ قلت : كيت وكيت . قالت : يا جارية ائتنى بأربعة آلاف درهم ! ثم قالت : ائت عمك فابتن بابنته ، ولك عندنا ما تحب ! قلت : لا والله لا أعود إليه أبدا ، قالت : يا جارية ، ائتنى ببغلة رحالتى . ثم قالت : راوح (٣) بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان . قلت : اكتبى بالوصاة بى ، والحالة التى استقبلتها . فكتبت بوجعها التى كانت فيه ، وبعافية الله إياها ، وبالوصاة بى ، فلم تدعْ شيئاً .

ثم دفعت حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت للحاجب : رسول صفية بنت الحرث . وأنا عابس باسر (٤) ، فدخل ؛ فخرج

---

(١) الثقل : المتاع . وفى القرآن : ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ .

(٢) سجستان : إحدى الولايات الواسعة جنوبى هراة ، وبينها وهراة عشرة أيام .

(٣) راوِحْ بينهما : أى اركبهما على التبادل ، هذه مرة ، وتلك أخرى .

(٤) عابس باسر : عبس قطب وجهه ، وبسر الرجل وجهه كلح ؛ يقال : عبس وبسر .

متوشحاً (١) ، وخلفه وصيف يسعى بكرسى ، فقمت بين يديه ، فقال : ويلك ! كيف أمى ؟! .

قلت : بأحسن حالة . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها .

قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها . قال : ويحك ! ألم تأتنى بسلامتها ؟ حسبك ! فأمر لى بخمسين ألف درهم ، وقال لحاجبه : اكتبه فى خاصة أهلى ، قال فو الله ما أتى على الحول حتى تم لى مائة ألف .

قال ابن عياش : فقلت له : هل لقيت عمك بعد ذلك ؟ قال : لا والله ولا ألقاه أبدا .

السلامانى وقريب له :

ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام !!

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال : أخبرنى موسى السلامانى ، مولى الحضرمى ، وكان أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس إذ دخل على غلام لى فقال : هذا رجل من أهل أُمِّك يستأذن عليك – وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف – فقلت : ائذن له . فدخل شاب حلو الوجه ، يعرف فى هيئته أنه قرشى فى طمرين (٢) فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ .

قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (٣) خال رسول الله ﷺ قلت : فى الرحب والقرب . ثم قلت : ياغلام ، بَرَّهُ وأكرمه ، وألطفه ، وأدخله الحمام ، واكسه قميصا رقيقا ، ومبطنا قوهيا ،

---

(١) الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، ويقال توشح الرجل بثوبه وسيفه .

(٢) الطِّمر : الثوب الْخَلَق البالى .

(٣) عبد الرحمن بن عوف : أحد العشرة الذين بشرهم النبى بالجنة . كان فى الهجرتين فى الحجاز والحبشة ، وقاد القتال فى دومة الجندل .

ورداء عمريا . وحذونا له نعلين حضرميين ، فلما نظر الشاب فى عِطْفيه (١) ، وأعجبته نفسه ، قال : يا هذا أبغنى أشرف أَيِّم بالبصرة أو أشرف بكر بها ! قلت : يابن أخى ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا ! .

قلت : يابن أخى ، كف عن هذا . قال : انظر ما أقول لك ! قلت : فإن أشرف أَيِّم بالبصرة هند ابنة أبى صُفْرة . أخت عشرة ، وعمة عشرة ، وخالها فى قومها خالها . وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة بن أوفى الجرشى قاضى البصرة . قال : اخطبها على . قلت : يا هذا ، إن أباها قاضى البصرة ! قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدم . فجلس إلى القاضى ، فقال له : من أنت يابن أخى ؟ قال له : عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله ﷺ . قال : مرحبا بك . ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا . قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاة ابنتك . قال : يابن أخى ، ما بها عنك رغبة (٢) . ولكنها امرأة يُفتاتُ عليها (٣) فى أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إلىَّ فقلت : ما صنعت ؟ قال : قال : كذا وكذا .

قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زرارة فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذنا على أمها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت : وها هى فى تلك الحجرة . قلت له : لا تأتها . قال : أليست بكرا ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها . فاستأذنا فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهى رقيق معصفر ، تحته سراويل يرى منها بياضُ جسدها ، ومرطٌ قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسى بين يديها فأشرجت (٤) المصحف ثم نحته ، فسلمنا ، فردت ، ثم رحبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله ﷺ !

---

(١) عِطْفا الرحل : جانباه والجمع : أعطاف .

(٢) رغب فيه أحبه ، ورغب عنه كرهه ، ومابها رغبة عنك أى غير كارهة له ، ولا رغبة لها فى سواك .

(٣) يفتات عليها الباطل ويختلق ؛ أو يفتات عليها فى أمرها لو لم نرجع إليها وننزل عند رأيها .

(٤) أشرجت المصحف أغلقته وضمت أجزاءه بعضها إلى بعض .

ومد بها صوته ، قالت : ياهذا ، إنما يمد هذا الصوت للساسانيين ! قال موسى : فدخل بعضى فى بعض ! ثم قالت : ما حاجتك ؟ قلت : جئت خاطبا . قالت : ومن ذكرت ؟ قال : ذكرتك . قالت : مرحبا بك ياأخا أهل الحجاز . ما الذى بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخيبر أعطاناهما رسول الله ﷺ – ومد بها صوته – وعين بمصر ، وعين باليمامة ، ومال باليمن .

قالت : ياهذا ، كل هذا عنا غائب ، ولكن ما الذى يحصل بأيدينا منك ؟ فإنى أظنك تريد أن تجعلنى كشاة عكرمة ، أتدرى من عكرمة ؟ قال : لا .

قالت : عكرمة بن ربعى ؛ فإنه نشأ بالسواد ، ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذى باللبن ، فقال لزوجته : اشترى لنا شاة نحتلبها ، وتصنعين لنا من لبنها شرابا وكامخا .

ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت [1] ، فقالت : يا جارية ، خذى بأذن الشاة وانطلقى بها إلى التياس ، فانزى [2] عليها ! ففعلت ، فقال التياس : آخذ منك على النزوة درهما ! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها . فقالت : إنما رأينا من يرحم ويعطى ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ! .

ولكن يا أخا أهل المدينة أردت أن تجعلنى كشاة عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا ! قال : ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام ! .

ابن علفة وعبد الملك :

جنبنى هجناء ولدك !

● وعن الأصمعى قال : كان عقيل بن عُلَّفَةَ المرى غيورا فخورا ، وكان يُصهر إليه خلفاء [3] بنى أمية ، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال : جنبنى هجناء [4] ولدك .

---

(١) استحرمت : الحِرْمة الغُلْمة ، وطلب الذكر .
(٢) اجعلى التيس يواقعها .
(٣) يتقدمون لمصاهرته وطلب يد بناته .
(٤) الهجين : الذى أبوه عربى وأمه أعجمية .

ابن عُلَّفة وأولاده :

وما يُدريك ما نعتُ الخمر ؟!

● وكان إذا خرج يمتار [1] خرج بابنته « الجرباء » معه . فخرج مرة فنزلوا ديرا من أديرة الشام يقال له : دير سعد ، فلما ارتحلوا قال عقيل :

قضيت وطرا من دير سعدٍ وربما ... علا عُرضٌ ناطحنه الجماجم [2]

ثم قال لابنه أجز ياعميس . فقال :

فأصبحن بالموماة يحملن فتية ... نَشَاوى من الإدلاج ميلَ العمائم [3]

ثم قال لابنته : ياجرباء أجيزى ، فقالت :

كأن الرى أسقاهم صَـرْخَدِيَّة ... عُقَاراً تمشَّت فى المطا والقوائم [4]

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الخمر ؟! ثم سل السيف ونهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عميس ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذه فبرك ، ومضوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى المياه ، قال لهم : إنا أسقطنا جزوراً لنا فأدركوه ، وخذوا معكم الماء ! ففعلوا ، وإذا عقيل بارك وهو يقول :

إن بنىَّ زمَّلونى بالـدم ... من يلق أبطال الرجال يُكْلَم [5]

ومن يكن درءٌ به يقـوم ... شِنشِنَة أَعْـرِفُها من أخزمِ [6]

---

(١) الميرة : الطعام ، ويمتار لعياله يجمع لهم الطعام والمونة وفى القرآن : ﴿ ونمير أهلنا ﴾ .

(٢) العُرُض : السحب تعلوه وتناطحه . وفى القرآن ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ .

(٣) الموماة : الصحراء .. والإدلاج : سير الليل كله أو فى آخره .

(٤) الصرخدية : شراب منسوب إلى صرخد ، والعقار : الخمر . والمطا : الظهر . والقوائم : الأرجل .

(٥) الكلْم : الجرح .

(٦) فى مجمع الأمثال للميدانى : كان أخزم عاقا لأبيه فمات ، فوثب أولاده على جدهم فأدموه فقال : (إن بنى ضرجونى بالدم ... شِنْشِنَة أعرفها من أخزم) والشنشنة الطبيعة والعادة ، يضرب : فى قرب الشبه .

الشنشنه : الطبيعة . وأخزم : فحل كريم وهذا مثل للعرب .

عبد الملك وابنة عبد الرحمن :

والله لا تَزَوَّجَنى أبو الذباب !

● الشيبانى عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأبت أن تتزوجه . وقالت : والله لاتَزَوَّجَنى أبو الذباب ! .

فتزوجها يحيى بن الحكم . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفْوه أشوه . فقال يحيى : أما إنها أحبت منى ما كرهت منك . وكان عبد الملك ردىء الفم يدمى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب .

* * *

● أخت أبى سفيان :

إن عقيلا كان مع الأحبة !

● وعن العتبى قال : خطب « قريبة » ابنة حرب أخت أبى سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من أهل بدر ، فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبى طالب .

قالت : إن عقيلا كان مع الأحبة يوم قتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم ! .

ولاحته [1] يوما فقالت : ياعقيل ؛ أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم أباريق الفضة ! قال لها إذا دخلت النار ، فخذى على يسارك .

---

(١) لاحَتْه : الملاحاة المنازعة .

زياد وسعيد بن العاص فى ابنته :

كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى !

● وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتاب ، أمر حاجبه بقبض المال والهدايا ، وأن يقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها أكثر من ظنك .

قال سعيد : أنا أكثر منها ! ثم وقع إلى زياد فى أسفل كتابه :

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ (١) .

* * *

الحسن ورجل يزوج ابنته :

زوجها ممن يتقى الله !!

● وقال رجل للحسن : إن لى بنية ، فمن ترى أن أزوجها ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ! فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها ! .

* * *

---

(١) سورة العلق : ٦ .

عبد الملك [1] وعمر بن عبد العزيز [2] :

وصلك الله يا أمير المؤمنين !

● وقال عبد الملك بن مروان ، لعمر بن عبد العزيز : قد زوَّجَك أمير المؤمنين ابنته فاطمة ، فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيت المسألة ، وأجزلت فى العطية ! .

★ ★ ★

الحسن يستشار :

اليسار يسار العقل والدين !!

● قيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة . قال : أهو موسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم .

قال : فزوجوه .

★ ★ ★

---

(١) الخليفة الأموى (٦٤٦ - ٧١٥) المؤسس الثانى لدولة بنى أمية جلس على العرش سنة ٦٨٥ هـ وعرب الدولة ، وعمم استعمال اللغة العربية فى جميع بلاد الدولة .

(٢) من الخلفاء الأمويين . اشتهر بتقواه . أبطل لعن عليّ على المنابر التى سنها معاوية قال فيه هرقل ملك الروم عندما بلغه وفاته : إن الأخيار لا يبقون عند الأشرار إلا قليلا .

حيوة بن شريح :

تزوج بعشرة وأبق تسعين !

● قال رجل لحيوة بن شريح : إنى أريد أن أتزوج . فماذا ترى ؟ .

قال : كم من المهر ؟ .

قال : مائة .

قال : فلا تفعل ، تزوج بعشرة وأبق تسعين ، فإن وافقتك ربحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوجت عشراً ؛ فلابد فى عشرة نسوة من واحدة توافقك ! .

★ ★ ★

هبنقة القيسى وراغب فى الزواج :

البكر لك والثيب عليك !

● وقال رجل أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع على ثم أعمل برأيه ؛ فكان أول من طلع هبنقة القيسى [1] ، وتحته قصبة ، فقلت له : أريد النكاح فما تشير به على ؟ قال :

البكر لك ، والثيب عليك ، وذات الولد لا تقربها ، واحذر جوادى لا ينفحك ! .

★ ★ ★

---

(١) هبنقة : لقب ذى الودعات يزيد بن ثروان – يضرب به المثل فى الحمق ؛ لأنه جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل فسرقها أخوه فى ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها فى عنقه فقال : أخى أنت أنا فمن أنا ؟ وضرب به المثل فى الحمق ! .

مكثرٌ ومُقِلٌّ فى الزواج :

زلقة من غير ماء !!

● وعن الأصمعى قال : أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مُقِلًّا (١) ؛ فخطب إليه مكثر من مال ، مقل من عقل ، فشاور فيه رجلا يقال له : أبو يزيد ، فقال : لا تفعل ، ولا تزوج إلا عاقلا ديناً ، فإنه إن لم يُكْرمها لم يظلمها . ثم شاور رجلا آخر يقال له : أبو العلاء ، فقال له : زوجه ؛ فإن ماله لها ، وحمقه على نفسه ... فزوجه فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته ، وأنشده فقال :

أَلهفى إذ عصيت أبا يزيد ولهفى إذ أطعت أبا العلاء
وكانت هفوةً من غير ريح وكانت زلقةً من غير ماء !!

★ ★ ★

زواج معبد بن خالد :

قالت : أنا أَسدةٌ من بنى أسد .. فخرجت ولم أُغْدَ !!

● المفضل بن محمد الضبى : قال : أخبرنى مسعر بن كدام عن معبد ابن خالد الجدلى قال : خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد – وكان النساء يجلسن لخُطّابِهِنَّ – قال : فجئت لانظر إليها وكان بينى وبينها رواق (٢) ؛ فدعت بجفنةٍ عظيمة من الثريد (٣) ، مكللة باللحم ، فأتت على آخرها ، وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهه .

---

(١) مقلا : قليل المال .
(٢) الرّواق : سقف فى مُقَدّم البيت ، والستار .
(٣) الجفنة : وعاء يفت فيه الخبز ويعد بمرق اللحم والدحاج ليصبح ثريداً .

وقالت : يا جارية ، ارفعى السجف [1] ؛ فإذا هى جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ؛ فقالت : ياعبد الله ، أنا أسدة من بنى أسد ، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامى وشرابى ؛ فعلام ترانى ؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر ! فقلت : أستخير الله فى أمرى وأنظر ! .

قال : فخرجت ولم أعد ! .

* * *

---

(١) السجف : الستائر .

لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن

● قال الشاعر العربى :

والليالى من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيب

● وَأَعجَبُ العجب ما يرويه « ابن عبد ربه » عن النساء من لطائف وطرائف ، فتعال نستمتع معا ببعض ما تضمنته كتب التراث وجمعه لنا ابن عبد ربه فى موسوعته الكبرى « العقد الفريد » وكشفت لنا عنه الأيام والليالى !

من أخبار النساء : وعلى الغانيات جر الذيول !

لابن أبى ربيعة فى مقتل زوجة المختار

● لما قتل مصعب بن الزبير ابنة النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجة المختار بن أبى عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه ؛ لأنه أتى بما نهى رسول الله ﷺ عنه فى نساء المشركين ؛ فقال عمر بن أبى ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عِندى قتل حسناء غادة عُطْبُول [1]
قُتِلتْ باطلاً على غير ذنبٍ إن لله درها من قتيـــل
كتب القتل والقتال علينـــا وعلى الغانيات [2] جر الذيـول

الخوارج وامرأة أرادوا قتلها :

من يُنَشَّأُ فى الحِلْية !!

● ولما خرجت الخوارج بالأهواز ، أخذوا امرأة فهَمُّوا بقتلها ؛ .

فقالت لهم :

أتقتلون من يُنشَّأُ فى الحليةِ وهو فى الخصام غير مبين [3] ؟! .

فأمسكوا عنها .

---

(١) غادة عُطبول : الغادة الناعمة . والعطبول : طويلة العنق فى اعتدال وحسن .

(٢) الغانيات : جمع غانية وهى التى استغنت بحسنها وجمالها الطبيعى عن الزينة فهى تجر ذيلها اختيالا .

(٣) كناية عن المرأة .

جارية لأمية وراغب فى زواجها :

أنت أسد فاطلب لنفسك لبؤة !

● قال : وحدثنا بعض أصحابنا أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد ذات ظرف وجمال ، مرت برجل من بنى سعد ، وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال : طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ! (١) .

ثم إنه أَتْبَعَها رسولا يسألها : ألها زوج ؟ ويذكره لها ؛ فقالت للرسول ما حرفته ؟ فأبلغه الرسول قولها ؛ فقال : ارجع إليها ، فقل لها :

وسائلةٍ ماحرفتى ؟ قلت : حرفتى ... مقارعةُ الأبطالِ فى كل شارقِ (٢)
إذا عَرَضت لى الخيلُ يوماً رأيتنى ... أمام رعيل الخيل أحمى حقائقى (٣)
وأَصبِرُ نفسى حين لاحُرَّ صابرٌ ... على ألم البيض الرقاق البوارق (٤) !

فأنشدها الرسول ما قال ، فقالت له : ارجع إليه ، وقل له : أنت أسد ، فاطلب لنفسك لَبُؤَة ! فلستُ من نسائك ! وأنشدت هذه الأبيات :

ألا إنما أبغى جواداً بماله ... كريماً محياه قليل الصدائق
فتى همه مُذْكان خودٌ كريمةٌ ... يعانقها بالليل فوق النمارق (٥)
ويشربها صِرفاً كُمَيْتاً مُدامةً ... نداماه فيها كل خِرق موافق

---

(١) طوبى : منزلة فى الجنة . وأيضا : الغبطة والسعادة وهو المراد هنا .
(٢) الشارق : الشمس حين تشرق والمقصود فى أيامى كلها .
(٣) الحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحميه من مال وعرض ووطن وكرامة وأهل .
(٤) السيوف البتارة .
(٥) الخَوْدُ : الشابة حسن الخلق ، والنمارق جمع نمرقة ؛ الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .

المغيرة وغلام حارثى :

لا خير لك فيها !

● وعن الشعبى [1] قال : سمعت المغيرة بن شُعبة يقول : ما غلبنى أحد قط إلا غلام من بنى الحارث بن كعب ، وذلك أننى خطبت امرأة من بنى الحارث ، وعندى شاب منهم ، فأصغى إلى فقال : أيها الأمير ، لاخير لك فيها ! قلت : يابن أخى ، ومالها ؟ .

قال : إنى رأيت رجلا يقبلها !! .

قال : فبرئت منها ؛ فبلغنى أن الفتى تزوجها ، قلت : ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها ؟! قال : بلى رأيت أباها يقبلها !! .

أبو سعيد وابن سيرين فى الزواج :

لا تتزوج امرأة تنظر فى يدها

● أبو سعيد قال : صحبت ابن سيرين عشرين سنة فقال لى يوما : يا أبا سعيد ، إن تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظر فى يدها ! ولكن تزوج امرأة تنظر فى يدك ! .

ما الحب إلّا للحبيب الأول :

بين جاريتين

● يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعى قال : تزوج

---

(١) الشعبى هو : أبو عامر بن شراحيل علاّمة الكوفة محدث ومستشار (٦٤٢ – ٧٢٣ هـ) .

رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول :

ومايستوى الرجلان : رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فُشلت

ثم مرت بعد أيام فقالت :

ومايستوى الثوبان : ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدى البائعين جديد

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نَقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلبُ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ فى الأرض يألفهُ الفتى وحنينـهُ أبـداً لأولِ منـزِلِ

● أعرابى وولى امرأة :

الأصمعى [١] قال : أخبرنى أعرابى فقال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة [٢] .

فزوجوه ، فقال رجل لولى المرأة : تعمم لكم فلان فزوجتموه ! .

فقالوا : ماتعمم لنا حتى تبرقعنا له ! [٣] .

لأعرابية تنصح بنات عمها :

● أبو حاتم عن الأصمعى قال : قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها [٤] بتيسين ، وكلبين ، وعيرين ،

---

(١) أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، وكان معلما للأمين ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٢) غمز الشيء بيده وبعينه طعنه ، وفى القرآن : ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ ورجل مغموز أى مطعون فى كرامته وشرفه . ويقال : ليس فى فلان غميزة . أى مطعن .

(٣) تعمم : لبس العمامة وتستر وراءها ، مدعيا الصلاح ، وتبرقعت لبست البرقع رمز التصون والمحافظة .

(٤) يمهرها : يعطيها مهرها وصداقها .

ورحيين ، فينبُّ التيسان ، وينهق العيران [1] ، وينبح الكلبان ، وتدور الرَّحيان ، فيعج الوادى [2] ؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضرى ، فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود . تعنى : سرجا .

● الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يشارُّ [3] امرأته ، فقالت لها أخته :

أما والله أيام شرخه [4] ، إذ كـان ينكتك كما ينكت العظم عن مخه ، لقد كنت له تبوعا ، ومنه سموعاً ! .

فلما لان منه ما كان شديداً ، وأخلق [5] ما كان جديداً تغيرت له ! أما والله لئن تغير منه البعض لقد تغير منك الكل .

لأعرابى فى زوجته :

● وقيل لأعرابى : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش ، فمدت يدها إلى صدرى ، فوددت - والله - أن آجُرَّةً خرت من السقف فقدَّتْ [6] يدها وضلعين من أضلاع صدرى ! ثم أنشأ يقول :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ... ولكن قرين السوءِ باق مُعَمَّرُ
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً ... وعذبها فيه نكيـر ومُنْكَـرَ

لآخر فى مثله :

● وتزوج أعرابى امرأة فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت فى

---

(1) العَير : الحمار وحشيا كان أم أهليا .

(2) يعج الوادى : يمتلىء بالأصوات والحركة والحياة ؛ حيث يختلط نبيب التيسين ، بنهيق العيرين ، بصوت الرَّحَيَيْن ، بنباح الكلبين فتؤلف جميعها موسيقى حبيبة إلى قلبها .

(3) يُشَارُّ : يخاصم .

(4) شرح الشباب : أوله ونضارته .

(5) أخلق : بلى وقدم .

(6) الآجر : الطوب الذى يبنى به وهو فارسى معرب . والآجُرُّ غير اللَّبِن . فهو طوب عولج بالنار فاحترق بعد أن كان لبنا ، وقدَّتْ : قطعت ومزقت .

السن ، فقالت له : ألم تكن ترضى إذا غضبت ، وتُعتِبُ [1] إذا عتبت ، وتشفق إذا أبيت ! فما بالك الآن ؟ .

قال : ذهب الذى كان يصلح بيننا ! .

الأصمعي وأعرابى طلق زوجته :

الأصمعي قال : كنت أختلف [2] إلى أعرابى أقتبس منه الغريب [3] ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ، إيذنى لى . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مراراً فلم اسمعه يذكر أمامة ؛ فقلت له : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين ! قال : فوجم وجمة [4] ندمت على ما كان منى ؛ ثم قال :

ظعنت أمامة بالطلاق	ونجوتُ من غُلِّ الوَثاق [5]
بانت فلم يألم لها قلـ	ـبى ولم تَدْمع مآقى [6]
ودواء مالا تشتـــــ	ـتهيه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس بطيب بـ	ـين اثنين فى غير اتفاق
لو لم أُرِحْ بفــراقها	لأرحت نفسى بالإباق [7]

لأعرابى طلق امرأته :

● الأصمعى قال : تزوج أعرابى امرأةً فآذته ، وافتدى منها بحمار

---

(١) أعتبه : سره بعد ما ساءه ، واسترضاه فأرضاه .

(٢) أختلف إليه : أنزل عليه زائرا بين وقت وآخر .

(٣) غريب اللغة ؛ فقد كان الأصمعى من طلابه والباحثين عن الدرر فهو أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها . عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين له عدة مؤلفات ، ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٤) وجم وجوما اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(٥) ظعن : سار ورحل ، والطعينة المرأة ما دامت فى الهودج . والغُل القيد فى الرقبة ، وأوثقه فى الوَثاق شده .

(٦) بانت طلقت أو بعدت . والمآقى مفردها مؤق العين : طرفها مما يلى الأنف .

(٧) الإباق : الهرب .

وجبة [1] ، فقدم عليه ابن عم لها من البادية فسأله عنها ! فقال :

خَطَتْ إلى الشيطان للحين بِنْتُه
فأدخلها من شِقوتى فى حِباليا
فأنقذنى منها حِمارى وجُبتى
جزى الله خيراً جبتى وحماريا !!

لأعرابى بين يدى زياد :

● الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابى ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن خير عمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ، ويثوب حلمه ، ويجتمع رأيه .

وإن شر عُمُر المرأة آخره : يسوء خلقها ، ويحد لسانها ، وتعقم رحمها ! قال له : صدقت ، اسفع بيدها [2] .

لبعض الأعراب فى مثله :

● قال : وذكرت أعرابية زوجها وكان شيخا ! فقالت :

ذهب ذَفَره ، وبقى بَخَرُه ، وفتر (....) [3] .

● الأصمعى قال : كان أعرابى قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أى ضربٍ [4] تريدها ؟ .

---

(١) الجبة . ثوب واسع يلبس فوق الثياب ، ويطلق على ما يرتديه رحال الدين جبة .
(٢) سفع بيده ، وسفع بناصيته أخذ بها وفى القرآن : ﴿ لنسفعن بالناصية ﴾ .
(٣) الدفر . شدة ذكاء الريح طيبة كانت أم نتنة ، وهى تقصد ذهاب الريح الطيبة ، أما الكلمة التى بين القوسين فهى تعنى الضعف الجنسى .
(٤) أى نوع أو صنف من النساء ؟ .

قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتى ولدها فى جمالها وطولى ، فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدها فى قصرها وقبحه ! .

● قدم أعرابى من طيىء فاحتلب لبناً ثم قعد مع زوجته ينتجعان [1] ، فقالت له : من أنعم عيشا نحن أم بنو مروان ؟ .

قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ، إلا أنا أردأ منهم كسوة ، وهم أظهر منا نهاراً ، إلا أنا نحن أظهر منهم ليلا ! .

لا تفعلى ؛ فإنه وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ !!

● الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى السلطان فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيرا ، كبها الله لو جهها ، ولو أمر بى إلى السجن ! .

● الأصعمى قال : استشارت أعرابية فى رجل تتزوجه ، فقيل لها : لا تفعلى فإنه وكلة تكلة ، يأكل خلله [أى يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل] .

قال أبو حاتم : هو الخلالة .

وَوكلةٌ تُكلةٌ : أى يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم .

يوم عتاب .. ويوم اكتئاب !!

● العتبى قال : خطب إلى أعرابى رجل موسر إحدى ابنتيه ، وكان للخاطب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ! قال أبوها : ولم ؟ قالت : يوم عتاب ، ويوم اكتئاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ! .

قالت الصغرى : زوجنيه ! قال لها : على ما سمعت من أختك ؟ .

---

(١) ينتجعان : ينعمان بشربه هنيئا .

قالت : نعم ، يوم تزين ، ويوم تسمُّن ، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين .

لأعرابية ترقص طفلا :

الأصمعي قال : رأيت امرأة ترقص طفلا لها وتقول :

أحبه حب الشحيح مالــه قد كان ذاق الفقـر ثم نالــه
إذا أراد بذْلَه بدا له (١)

أقوال وتعليقات وطرائف

أقوال :

● ذكر عند مالك بن أنس (الباه) (٢) ، فقال :

هو نور وجهك ، ومخ ساقيك ! فأَقِلَّ منه أو أكثر .

● وقال معاوية :

ما رأيت نهما فى النساء إلا عرفت ذلك فى وجهه ! .

● وقال كسرى :

كنت أرانى إذا كبرت أنهن لا يُحبِبْنَنى ؛ فإذا أنا لا أحبهن ! .

وأنشد الرياشي لأعرابى من بنى أسد :

تمنيت لو عاد شرخُ الشباب ومن ذا على الدهر يُعطى المنى ؟
وكنتُ مكيناً لدى الغانيات فلا شــىء عندى لها ممكنا
فأمّـا الحســانُ فيأْبيننــى وأما القبــاح فآبــى أنـا

---

(١) بدا له : أى خطر له فيه رأى .

(٢) الباءة : النكاح والتزوج ، ويقال أيضا ؛ الباهة والباه ، وقيل هو : كناية عن الجماع .

● ودخل عيسى بن موسى على جارية ، فلم يقدر على شيء فقال :

النفس تطمح والأسباب عاجزةٌ والنفسُ تهلكُ بين اليأسِ والطمع

● وقالوا : من قل جماعة فهو أصح بدنا ، وأطول عمرا ، ويعتبرون ذلك بذكر الحيوان ، وذلك أنه ليس فى الحيوان أطول عمرا من البغل ، ولا أقل عمرا من العصافير ، وهى أكثر سفادا (١) .

تعليقات :

ما أحسن والله ما أقبل !!

● **خاطب يزكيه وسيط :**

أبو الحسن المدائنى قال : خطب رجل من بنى كلاب امرأة ، فقالت : أمها : دعنى حتى أسأل عنك ، فانصرف الرجل ، فسأل عن أكرم الحى عليها ؛ فدُلَّ على شيخ منهم كان يحسن التوسط فى الأمر ، فأتاه يسأله أن يحسن عليه الثناء ، وانتسب له فعرفه .

ثم إن العجوز غدت عليه فسألته عن الرجل ، فقال : أنا أعرف الناس به ، فقالت : فكيف لسانه ؟ قال : مِدْرَهُ (٢) قومه وخطيبهم . قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : منيع الجار (٣) ، حامى الذمار ! . قالت : فكيف حماسته ؟ قال : ثِمالُ قومه (٤) وربيعهُم .

وأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما أقبل ! ما انثنى

---

(١) سفادا : نزوا وجماعا .

(٢) المِدْرَهُ : كمنبر السيد الشريف ، والمقدِم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال

(٣) جارهُ فى منعه من الأعداء به ، والذمار بالكسر كل ما يجب على المرء حفظه وحمايته

(٤) ثِمال : على وزن كتاب : الغيات الذى يقوم بأمر قومه .

ولا انحنى . ودنا الفتى فسلم ، فقال : ما أحسن والله ما سلم ! ماجأر (١) ولا خار .

ثم جلس . فقال : ما أحسن والله ما جلس ! مادنا ولا نأى (٢) .

وذهب الفتى ليتحرك فضرط ، فقال الشيخ ما أحسن والله ما ضرط ، ما أطنها (٣) ولاأغنها ، ولابربرها ولاقرقرها (٤) .

ونهض الفتى خجلا ، فقال : ما أحسن والله ما نهض ما انفتل (٥) ولا انخذل وأسرع الفتى ، فقال : ما أحسن والله ما خطا ما ازورّ (٦) ولا اقطوطى .

فقالت العجوز : حسبك ياهذا ، وجه إليه من يرده فوالله لوسلح (٧) فى ثيابه لزوجناه .

الزبير بن بكار :

آخذ من دنا مِنّى !

● قال : جاءت امرأة إلى ابن الزبير تستعدى على زوجها ، وتزعم أنه يصيب جاريتها ، فأمر به فأحضر ، فسأله عما ادعت ، فقال :

هى سوداء وجاريتها سوداء ، وفى بصرى ضعف ويضرب الليل برواقه ، فأنا آخذ من دنا منى .

(١) جأر : رفع صوته ، وهو يقصد أنه كان معتدلا فى صوته وسلامه .

(٢) لم يقترب ، ولم يبتعد ، بل جلس مجلسا وسطا .

(٣) الطنين : صوت الذباب والطست ، وأطن ساقه قطعها ، وأغن الذباب صوت وهو يريد أنه تحكم فى ضراطه فجاء على صورة جميلة .

(٤) البربرة : صوت المعز وكثرة الصياح والجلبة ؛ والقرقرة : هدير البعير والضحك إذا استغرب فيه ورجع .

(٥) انفتل : وتفتل ووجهه عنهم : صرفه . وانخذل : أحس بالخذلان والكسوف .

(٦) ازور : مال وانحرف ، واقطوطى ثقل فى مشيه ، وتقصد أنه كان متزنا فى مشيه وكأن شيئا لم يكن .

(٧) سلح : تبرز .

شهادة أعرابي :

أرأيته ؟!!

● واستشهد أعرابي على رجل وامرأة زنيا ، فقيل له : أرأيته داخلا وخارجا كالمرود في المكحلة ؟ فقال : والله لو كنت جلدة استها ما رأيته .

من طرائف الأعراب :

ماترى ياربنا فيما ترى ؟!

● الأصمعي قال : أصابت الأعراب مجاعة ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق ، وهو يقول :

يا رب إني قاعد كما ترى
وزوجتي قاعدة كما تـــرى
والبطن مني جائعٌ كما تـــرى
فما ترى يا ربنا فيما ترى ؟!

ياليتني كنت صبيا مرضعاً !!

● ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة ، تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي ، وكلما بكى قبلته فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صبيا مُرْضَعَا
تحملني الذلفاءُ حولا أكتعا (١)
إذا بكيت قبلتني أربعا
فلا أزال الدهر أبكي أجمعا

---

(١) حولا كاملا .

الباب الثالث

النساء المنجبات

وأبناء السرارى والإماء

بين يدى هذا الباب للمحقق

السرارى والإماء

قد تتراءى لعيوننا أكثر من علامات استفهام حول السرارى والإماء ! .

وربما يقول قائل : أليس فى تعدد الزوجات ما فيه الكفاية ؟ .

ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه « المرأة فى القرآن » :

« لقد شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، فلم يكن للعتق أثر فى شرائع الحضارات التى سبقت ظهور الإسلام .

أما الرق فقد كان معروفا معترفا به فى كل حضارة قديمة .

فلما ظهر الإسلام جاء بالعتق ولم يجىء بالرق وسبق التطور الدولى إلى تقرير فك الأسرى عند الأعداء ، وتقرير المن بتسريح الأسرى عنده .

والنساء المملوكات أقدم فى التاريخ من الرجال المملوكين . وتعتبر قضية الإماء والسرارى جزءاً من قضية الرق على عمومه لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد بمشكلاتها .. فإن كان العتق برا كبيرا بالإنسان الذى سلبت حريته وهانت على الناس كرامته فإن العتق لا يؤول بالجارية إلى حرية تغبط عليها ، وهى بلا عائل ولا زوج وربما نقلها العتق من العبودية لسيد واحد إلى العبودية لكل سيد تأوى إليه .

وقد نظرت شريعة الإسلام إلى الفارق بين الرجل والمرأة فى أمر العتق ، فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية ، وأمرت المسلمين بتزويجهن والبر بهن :

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [سورة النور : ٣٢] .

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ [٣ : سورة النساء] .

وفضلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج بسليلة البيوت من المشركات ولو حسن مرآها فى العين :

﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ .

[٢٢١ : سورة البقرة]

وفرضت لهن حقوقا كما فرضت للأزواج :

﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم ﴾ .

[سورة الأحزاب : ٥٠]

وجعلت أصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من رزق الله :

﴿ فما الذين فضلوا برادِّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ﴾ .

[سورة النحل : ٧١]

وحرص الإسلام على البر بهن فى عواطفهن وإحساسهن كما حرص على البر بهن فى أرزاقهن ومعيشتهن ، فكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلم أن يقول : « عبدى وأمتى » وإنما يقول : « فتاى وفتاتى » كما يتحدث عن أبنائه .

وكانت وصيته بالصلاة والرقيق من آخر وصاياه ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وارتفع الإسلام بأتباعه إلى منزلة من الإنصاف للرقيق والرفق به لم تبلغها الإنسانية بآدابها وقوانينها ودساتيرها وأنظمتها بعد أكثر من ألف سنة .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن ارتفاع المهانة عن المماليك فى العالم الإسلامى مكنهم غير مرة من إقامة الدول وارتقاء المناصب وولاية الوزارة والقيادة ، ومصاهرة البيوتات من أصحاب الملك والإمارة .

وإليك ما جاء فى العقد الفريد عن السرارى والإماء :

المنجبات من النساء :

أنجب النساء

● قالوا : أنجب النساء الفَرُوك [1] ؛ وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق ، لزهدها فى الرجل .

● أبو حاتم عن الأصمعى قال : النجيبة التى تنتزع بالولد إلى أكرم العِرقين .

● وقال عمر بن الخطاب : يا بنى السائب ، إنكم قد أضويتم ، [2] فانكحوا فى النزائع .

● وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .

والعرب تقول : اغتربوا لا تُضْوُوا : أى انكحوا فى الغرائب ، فإن القرائب يُضْوِينَ البنين .

وقالوا : إذا أردت أن يَصْلُب ولدُ المرأة ، فأغضبها ثم قع عليها ؛ وكذلك الفزعة ! .

---

(١) الفَرُوك : الزاهدة فى الرجال ، ولا تحبهن ، والمبغضة لهن .

(٢) الضوى : الهُزال ، ودقة العظم وقلة اللحم ، وأضوى دق وأضعف والمرأة ولدت ولدا ضاويا .

وقال الشاعر :

مِمَّن حملْن وهنّ عواقدٌ حُبُكَ النِّطاق فشبَّ غير مُهَبَّلِ
حملت به فى ليلة مزءودة كُرها وعَقْد نطاقها لم يُحْلَلِ

قالت أم تأبط شرا :

والله ما حملته تضعا ولا وضعا ، ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ، ولا أنمته مئقا (١) .

ومن أمثال العرب :

أنا مئق ، وأنت تئق ، فمتى نتفق ؟ (٢) .

إبراهيم عليه السلام وهاجر

● تسرى الخليل إبراهيم عليه الصلاة السلام بهاجر ، فولدت له إسماعيل عليه السلام .

محمد عليه الصلاة والسلام ومارية ثم صفية

● وتسرى النبى عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم .

أبى اسحاق وجدى إبراهيم !

● ولما صارت إليه صفية بنت حُييٍّ ، كان أزواجه يعيرنها باليهودية ، فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت ← فصدقت

---

(١) قال فى القاموس المحيط : وضعت المرأة حملها وُضعا ، وتُضعا بضمهما ، وتفتح الأولى ولدته . وُوُضْعاً وتُضْعا ، وتُضُعا بضمتين : حملت فى آخر طهرها فى مقبل الحيضة . ووضعته يتْناً أى وضعته منكسا ، تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أى لبنا فاسدا ، وذلك عندما تُرضِع وهى حامل . وأنمته مئقا : أى غاضبا مغتاظاً .

(٢) المئق : المغتاظ الباكى والتَّئِق : السريع إلى الشر الغضوب . مما يدل على اختلافهما بحيث لا يتفقان ، وفى النسخة المحققة . تئق : أى الذى لا يحتمل شيئا .

وصُدُّقْتِ – : أبى إسحاق ، وجَدى إبراهيم ، وعمى إسماعيل ، وأخى يوسف .

هشام وزيد بن على :

لا يعلم الغيب إلا الله

● ودخل زيد بن على على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابن أمة ! .

فقال له : أما قولك : إنى أُحدِّث نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله .

وأما قولك : إنى ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صُلْبه خير البشر محمداً ﷺ ، وإسحاق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير ! .

الرغبة فى السرارى (١) :

أبناء الإماء يتفوقون !

● قال الأصمعى : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء ، حتى نشأ منهم علىُّ بنُ الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا ، فرغب الناس فى السرارى .

★ ★ ★

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ [المائدة : ٦] .

(٢) السرارى : جمع سُرِّيَّة . وهى الأمة التى بوَّأتها بيتا مسوبة إلى السر بالكسر للجماع

عبد الملك وابن الحسين فى جارية تزوجها :

لا عار على مسلم !

● وتزوج على بن الحسين جارية له ، وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يؤنبه ، فكتب إليه على : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم .

وهذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمته ، وامرأة عبده ! .

فقال عبد المالك : إن عَلِيَّ بن الحسين يَشْرُفُ من حيث يَتضِعِ الناسُ .

★ ★ ★

أقوال وتجارب :

عجبى !

● وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟ ولمن أحفى شاربه كيف أعفاه ؟ [1] وعجبا لمن عرف الإماء كيف يقدم على الحرائر .

وقال الشاعر :

أمهات القوم أوعية

لا تشتمن امرءاً فى أن تكون له أمّ من الروم أو سوداء عَجْماءُ
فإنما أمهاتُ القوم أوعيـــةٌ مستودعاتٌ ، وللأحساب آباءُ [2]

★ ★ ★

---

(١) أحفى شاربه حلقه .. وأعفاه : تركه .
(٢) ينسب الأبناء إلى الآباء ويفخرون بحسبهم ، أما المرأة فهى مجرد وعاء .

وقالوا :

شتان ما بينهما !

● الأمة تشترى بالعين ، وترد بالعيب ، والحرةُ غُلٌّ [1] فى عنق من صارت إليه !! .

الهجناء [2]

للعرب والفرس :

أسماء ومسميات

العرب تسمى العجمى إذا أسلم : المسلمانى ؛ ومنه يقال : مُسالمة السَّواد .

والهجين عندهم : الذى أبوه عربى ، وأمه أعجمية .

والمذَرَّع : الذى أمه عربية ، وأبوه أعجمى .

وقال الفرزدق :

إذا باهلىٌّ أنجبت حنظليةٌ له ولداً منها ؛ فذاك المذَرَّعُ

والعجمىُّ : النَّصرانى ونحوه ، وإن كان فصيحا .

والأعجمى : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلما .

---

(١) الغل : القيد . والجمع أغلال .

(٢) الهجناء : جمع هجين وهو العربى الذى ولد من أمه . أو من أبوه خير من أمه – القاموس المحيط .

ومنه قيل : زياد الأعجم ؛ وكان فى لسانه لُكْنة .

والفرس تسمي الهجين : دوشن ، والعبد : واشٍ ونجاش ، ومن تزوج أمة : نفاش ، وهو الذى يكون العبد دونه ، وسمى أيضاً : بوركان .

والعرب تسمى العبد الذى لا يخدم إلا مادامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكان العرب فى الجاهلية لا تورث الهجين .

وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده (١) ، ولو وجدوا أُماً أُمة على رأس ثلاثين أما ، ما أفلح ولدها عندهم ولا كان آزاد ، ولا كان بيده مزاد .
[والآزاد عندهم : الحر ، والمراد : الريحان] .

* * *

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم

إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

تبغلت لما أن أتيت بلادهم ... وفى أرضنا أنت الهُمامُ القلمسُ (٢)
ألست ببغل أُمُّهُ عربيـــة ... أبوه حمـار أدبر الظهر يُنخسُ (٣)

وشبه المذرع بالبغل ؛ إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس ! .

---

(١) أى تطرحه من حسابها ، ولا تعده ممن يتكاثر بهم ويتفاخر .
(٢) القلمس : السيد العظيم . وتبغل : صار بغلا .
(٣) ينخس بالمنخاس لينشط ، والكريم من الحيوانات من ينشط بنفسه .

مما احتج به الهجناء :

سيف أبيك زوجه !

● ومما احتج به الهُجناءُ : أن النبى ﷺ زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود .

وزوج خالدة بنت أبى لهب من عثمان بن أبى العاص الثقفى ؛ وبذلك احتج عبد الله بن جعفر ، إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف ، فعيره الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أبيك زوجه ! والله ما فديت بها إلا خيط رقبتى .

وأخرى أن النبى ﷺ : قد زوج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبى العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

● وزوج أبو سفيان أم الحكم بالطائف فى ثقيف .

● وقال لهذم الكاتب فى عبد الله بن الأهتم ، وسأله فحرمه (١) :

وما بنو الأهتم إلَّا كالرَّحم   لا شَيء إلا أنهم لحمٌ ودمٌ
جاءت به جُذامٌ مِن أرض العجم   أهتم سَلَّاح (٢) على ظهر القدم
مقابل فى اللؤم من خال وعم

بنو أمية وأولاد الإماء (٣) :

● وكانت بنو أمية لا تستخلف بنى الإماء ، وقالوا : لا تصلح لهم العرب .

---

(١) أى لم يعطه .
(٢) السلح من الطائر كالتغوط من الإنسان .
(٣) الإماء : جمع أمة ، وهى الجارية المسترقة .

لايستويان !!

● زياد بن يحيى قال :

حدثنا جبلة بن عبد الملك : قالوا : سابق عبد الملك بن سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكُم أن تحملوا هجناءكـــم ... على خيلكم يوم الرهان فتدرك (١)؟!
وما يستوى المرءان هذا ابن حرة ... وهذا ابن أخرى ظهرها مُتشرك
وتضعف عضداه ، ويقصر سوطه ... وتقصر رجلاه ؛ فلا يتحـــرك
وأدركـه خالاتـه فنزعنـــــــه ... ألا إن عرق السوءِ لابدَّ يُدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، فقال :

أتدرى من يقول هذا ؟ قال : لا أدرى . قال : يقوله أخوك الشَّنِّىّ .

قال مسلمة : ياأمير المؤمنين ، ما هكذا قال حاتم الطائى . قال عبد الملك : وماذا قال حاتم الطائى ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناها بأسيافنا قســرا
فما زادها فينا السباءُ مذلةً ... ولا كلفت خبزاً ، ولا طبخت قدراً
ولكن خلطناها بخير نسائنا ... فجات بهم بيضاً وجوههمُ زُهراً
وكائن ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقى الأبطال يطعنهم شزراً
ويأخذ رايات الطعان بكفــه ... فيوردها بيضا ، ويصدرها حمرا (٢)
أغرُّ إذا اغبر اللثامُ رأيته ... إذا ما سرى ليل الدجى قمراً بدرا (٣)

---

(١) يلحق بها الأعداء ويدركونها لأن راكبيها ليسوا فرسانا ، فالفروسية وقف على العرب الخُلَّص .

(٢) يوردها ويصدرها .. كانت العرب تورد الإبل على الماء وتسوقها لتشرب ، ثم يصدرونها عائدين بها بعد الورود . ويقصد أنه يحمل الرايات ويقبل بها على المعارك ثم يعود بها ظافرة بعد معارك منتصرة .

(٣) أغر : أبيض يتراءى النور من جبهته إذا ثار عبار المعركة فغطى لثامه ، وكأنما هو القمر فى ظلام الليل .

فقال عبد الملك كالمستحى :

وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عَمرو   بصاحبك الذى لاتصبحينا (١)

* * *

بنو أمية فى أولاد الأمهات :

لماذا ؟!

● قال الأصْمَعىّ : كانت بنو أمية لاتبايع لبنى أمهات الأولاد ؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك .

ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ؛ فلما ولى الناقص ظن الناس أنه الذى يذهب ملك بنى أمية على يديه – وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى – فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووثب مكانه مروان بن محمد – وأمه كردية – فكانت الرواية عليه .

ولم يكن لعبد الملك ابن أسَدُّ رأيا ، ولا أذكى عقلا ، ولا أشجع قلبا ، ولا أسمح نفسا ، ولا أسخى كفا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى .

---

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم وقبله :

صَدَدْتِ الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت جذيمة الأبرش ، وذلك لما وجده مالك وعقيل فى البرية وكانا يشربان ، وأم عمرو هذه المذكورة تصد عنه الكأس ، فلما قال هذا الشعر سقياه ، وحملاه إلى خاله جذيمة . ولهما حديث . وهذا البيت من شواهد سيبويه على أن اليمين نصب على الظرفية . كما جاء فى شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى .

شيءٌ عن يحيى بن أبى حفصة :

كان يهوديا فأسـلم .

● وكان يحيى بن أبى حفصة أخو مروان بن أبى حفصة يهوديا ، أسلم على يد عثمان بن عفان فكثر ماله ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفا .

ويقول فيه القلاح :

نبئتُ خولة قالت حين أنكحها : لطالما كنتُ - منك العارَ - أنتظر
أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما فى فيك - ممارجوت - الترابُ والحجر
لله در جيادٍ أنت سائسها برذنتها [1] وبها التحجيل والغُرر

فقال مقاتل يرد عليه :

وما تركت خمسون ألْفاً لقائل عليك - فلا تحفل - مقالة لائم
فإن قلتم زوجت مولى فقد مضت به سنة قبلى وحُبُّ الدراهـم

ويقال : إن غيره قال ذلك .

★ ★ ★

(١) حولتها إلى براذين بعد أن كانت جيادا كريمة محجلة تبدو غرتها . والبرذون الدابة . والبرذون التركى من الخيل وهو خلاف العراب - المصباح المنير .

الأدعياء

زياد بن عبيد :

أخاف هذا الجالس على المنبر !!

● أول دَعِيٍّ [(١)] كان فى الإسلام واشتهر زياد بن عبيد ، دعي معاوية ، وكان من قصته أنه : وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كانَ ، فلما قدم وأخبر عمر بالفتح فى أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام فى جماعة الناس على المنبر ؟ .

قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهيب ! .

فأمر عمر بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لزياد : قم فاخطب وقص على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجوَّد ، وعند أصل المنبر عليٌّ بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن حرب . فقال أبو سفيان لعلى : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أَمَا إنَّه ابن عمك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفته فى رحم أمه سمية ! قال : فما يمنعك أن تدَّعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر – يعنى عمر – أن يفسد على إهابى . فلما وُلِّىَ معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه ؛ فلما شهد الشهود ، قام زياد على أعقابهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوَّلَه ؛ ولا علم لى بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ ما ضيعوا ؛ فأما عبيد ، فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

---

(١) الدعِيّ : من ينسب إلى غير أبيه ، وكان العرب يتبنون من يرغبون فى إلحاقهم بنسبهم ، فجاء القرآن ، وأبطل التبنى ، وقال : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ .

فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلغ معاوية بن حـــرب فقد ضاقت بما يأتى اليــدانِ
أتغضب أن يُقال : أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال : أبوك زانِ ؟
وأشهد أن قُربكَ من زيادٍ كَقُرْبِ الفيلِ من وَلَد الأتانِ (١)

وقال زياد :

ما هجيتُ ببيت قط أشد على من قول يزيد بن مفرغ الحميرى :

فكر ففى ذاك إن فكرت معتبرُ هل نلتَ مكرمةً إلا بتأمير ؟
عاشـت سمية ما عاشت وماعلمت أن ابنها من قريشٍ فى الجماهير
سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناسُ محتوم المقادير

وكان ولد سمية : زياداً ، وأبا بكرة ، ونافعا ، فكان زياد ينسب فى قريش ، وأبو بكرة فى العرب ، ونافع فى الموالى ؛ فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إن زيـاداً ونـافعـاً وأبـا بـكرة عندى من أعجبِ العجب
إن رجـالاً ثلاثـةً خُلِقُـوا من رحم أنثى مخالفى النسـب
ذا قُرشىٌّ فيما يقول ، وذا مولى ، وهذا ابن أمه عربى !

★ ★ ★

● وقال بعض العراقيين فى أبى مسهر الكاتب :

حمارٌ فى الكتابة يدعيهـا كدعـوى آل حـربٍ فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثوبك بالمـداد (٢)

★ ★ ★

---

(١) الأتان : أنثى الحمار .

(٢) المداد : ما يكتب به وقد جاء فى الكتاب العزيز : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾ .

● وقال آخر فى دَعىّ :

لعينٌ يورثُ الأبنـاءَ لعنـاً ويلطـخُ كل ذى نسـبٍ صحيح

★ ★ ★

ياحَرَسِىّ خذ هذا الحجر ..!

● عبد الله بن حجاج :

ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ونصر بن حجاج عند معاوية فى عبد الله بن حجاج – مولى خالد بن الوليد – أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خز أخضر ، وأمر بحجر فأدنى منه ، وألقى عليه طرف المطرف ، ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس ، فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أبى ، عهد إلى أنه منه .

وقال عبد الرحمن : مولاى وابن عبد أبى وأمته ، ولد على فراشه . فقال معاوية : ياحرسىّ ، خذ هذا الحجر – وكشف عنه – فادفعه إلى نصر بن حجاج . وقال : يانصر ، هذا مالك فى حكم رسول الله ﷺ ؛ فإنه قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم فى زياد يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك حكم معاوية ، وهذا حكم رسول الله ﷺ .

● وليس فى الأرض أحمس من الأدعياء لتستحق بذلك العربية .

قال الشاعر :

دعِىٌّ واحدٌ أجـدى عَلَيْهـم من أَلْفَـى عالـم مثِل ابن دَاب
ككلب السُّـوء يَحرسُ جَانبيه وليس عدوُّه غـير الكـلاب

---

(١) ينسب إلى من ولد على فراشه ، أما العاهرة فلها الحجر والرجم .

من طباع العرب

للأصمعى فى دعى :

● وقال الأصمعى : استمشى رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فوجد عنده شيحا وقيصوما ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : — ورفع صوته — الطبيعة تتوق إليه ! يريد أن طبيعته من طباع العرب ؛ فقال فيه الشاعر :

يَشَمُّ الشيحَ والقيصو ... مَ كى يستوجب النّسَبَا (١)

وليس ضميُره فى الصد ... ر إلا التين والعنبا

أبو سعيد المخزومى :

دعىّ على دعىّ

● وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيت على أبى سعيد الشاعر المخزومى كردوانيا مصبوغا بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خز ؟ قال : لا ، ولكنه دعى على دعى ، وكان أبو سعيد دعيا فى بنى مخزوم ، وفيه قال الشاعر :

متى تاه (٢) على الناس ... شريف يا أبا سعد

فته ما شئت إذا كنت ... بلا أب ولا جـد

وإذا حظلك فى النســـ ... ـبة بين الحر والعبد

وإذا فارقك الفُحـش ... ففى أمن من الحـد

---

(١) الشيح والقيصوم والعَرارُ : من النباتات التى كان العربى يتوق إلى شمها . ويتمتع بجمال منظرها حين تطل عليه بمرآها الجميل فيما حوله من صحراء ، وهو يحاكيهم ليقال هو منهم .

(٢) تاه : اختال ، وفخر ، وزها .

تزوج ابن عبد العزيز فى عبد القيس :

تعيبون أمرا ظاهراً فى بناتكم !!

● وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلت فى دار رجل من بنى عبد القيس بالبحرين ، فقال لى : بلغنى أنك خاطب ؟ قلت نعم . قال : فأنا أزوجك .

قلت له : إنى موْلى . قال : اسكت وأنا أفعل ! فقال أبو بجير فيهم :

أمن قلةٍ صرتُم إلى أن قبلتُم ... دعاوةَ زراع وآخر تاجر
وأصهبَ روميٍّ ، وأسودَ فاحمٍ ... وأبيض جعدٍ من سراة الأحامِرِ
شكولُهم شتى وكلٌّ نسيبكُم ... لقد جئتم فى الناس إحدى المناكر
متى قال : إنى منكمُ فمصدقٌ ... وإن كان زنجياً غليظ المشافر (١)
أكلُّهم وافى النساءَ جدوده ... وكلهم أوفى بصدق المعاذر ؟
وكلُّهم قد كان فى أوليةٍ ... له نسبة معروفة فى العشائر
على علمكم أن سوف ينكح فيكم ... فجدعا ورغما للأنوف الصواغر (٢)
فهلا أبيتم عفة وتكرما ... وهلا وجلتم من مقالة شاعر ؟ (٣)
تعيبون أمرا ظاهرا فى بناتكم ... وفخركم قد جار كل مفاخر
متى شاء منكم مغرم كان جده ... عمارة عبس خير تلك العمائر
وحصنُ بن بدر أو زراةُ دارم ... وزبانُ ربان الرئيس ابن جابر
فقد صرت لا أدرى وإن كنت ناسياً ... لعل نجاراً من هلال بن عامر
وعلَّ رجالَ الترك من آل مذحج ... وعلَّ تميماً عصبة من يُحابر
وعلَّ رجالَ العجم من آل عالج ... وعلَّ البوادى جُدِّلت بالحواضر
زعمتم بأن الهند أولاد خندف ... وبينكم قربى وبين البرابر

---

(١) المشافر والأشفار الشفتان .

(٢) جدعا : قطعا وفى المثل · « لأمرٍ مّا جدع قصير أنفه » ! .

(٣) وحلتم : خفتم .

وَدَيْلم من نسلِ ابن ضبةَ باسلٍ وبُرجانَ من أولاد عمرو بن عامر
بنو الأصفرِ الأملاكُ أكرمُ منكم وأولى بقربانا ملوك الأكاسر [1]
أأطمع فى صهرى دعيا مجاهرا ولم نر شرّاً فى دعى مُجاهر
ويشتم لؤمـا عرضه وعشيره ويمدح جهلا طاهراً وابن طاهر

★ ★ ★

● وقال زرارة بن ثروان أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر :

اختلط الأسافل بالأعالى !

قد اختلط الأسافل بالأعالى وباح الناس واختلط النجار [2]
وصار العبد مثل أبى قبيس وسيق مع المعلهجة [3] العشار

جعفر بن سليمان وولده أحمد :

ثم تريد أن ينجبن !!

● وذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده ، وأنهم ليسوا كما يحب ، فقال له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز ، فأوعيت فيهم نطفك ، ثم تريد أن ينجبن ؟! ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها ؟! .

★ ★ ★

---

(١) الأكاسر : ملوك الفرس وواحدها : كسرى .
(٢) النّجار : الأصل .
(٣) المعلْهجة : الهجين .

الأشعث وعلى :

من هذه يا أمير المؤمنين ؟!

● ودخل الأشعث بن قيس على علىّ بن أبى طالب ، فوجد بين يديه صبية تدرج ، فقال : من هذه يأمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين ! قال : اغرب [1] بفيك الكِثكِث ولك الأثلب [2] ! أغرك ابن أبى قحافة حين زوجك أم فروة ؟ .

إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم . فقال : قد زوجتم أخمل منى حَسبا ، وأوضع منى نسبا : المقداد بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال على : ذلك رسول الله ﷺ فعله ، وهو أعلم بما فعل ؛ ولئن عدت إلى مثلها لأسوءنَّك ! .

● وفى هذا المعنى قال الكميت بن زيد :

وما وجدت بنات بنى نزار ... حلائل أسوديـن وأحمرينـا
وما حملوا الحمير على عتاق [3] ... مطهمـة فيلفـوا مبغلينـا
بنى الأعمام أنكحنا الأيامى ... وبـالآباء سمينـا البنينـا

الهيثم بن عدى :

إذا نسبت عديا .. ؟!

● عن العتبى قال : وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعياً ، فقال فيه الشاعر :

---

(١) اغرب : ابعد عنى . ورجل كَثُّ اللحية وكثيثها . كثف شعر لحيته .

(٢) الأثلب : ويُكسر ، التراب والحجارة ، أو فتاتها . كناية عن رده ردا قبيحا فليس له عنده إلا أن يحثو فى وجهه التراب .

(٣) العتاق : كرام الخيل .

الهيثم بن عدى من تنقله   فى كل يوم له رحلٌ على حسب
إذا اجتدى[1] معشراً من فضل نسبتهم   فلم ينيلوه عداهم إلى نسب
فما يزال له حلٌّ ومرتحــل   إلى النصارى وأحيانا إلى العرب
إذا نسبت عديا فى بنى ثُعَـل   فقدم الدال قبل العين فى النسب [2]

* * *

● وقال بشار القصيلى :

عربى من زجاج

إن عمراً ، فاعرفوه   عربى من زُجـــاج
مظلم النسبة لايعـــ   رف إلا بالســـــراج

● وقال فيه :

عربى من قوارير

ارفق بنسبة عمر ، حين تنسبه   فإنه عربى من قواريـر
مازال فى كير حداد يردده   حتى بدا عربيا مظلم النور

● وقال أيضا فى أدعياء :

زائف الحسب

● هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا   يدخل بعد العشاء فى العرب
والناسُ قد أصبحوا صيارفةً   أعلم شــيءٍ بزائـف الحســـب

(١) احتدى : سأل .   (٢) إذا قدمنا الدال قبل العين فى (عدِى) يصح (دعيًّا) .

● وقال أبو نُواس فى أشجع بن عمرو :

قل لمن يدعى سُليمى سفاها   لست منها ولا قلامة ظفـر (١)

إنما أنت من سليمى كواو   ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

● وقال فيه :

أيا متحيراً فيـــه   لمن يتعجب العجـب

لأسماءٍ تَعَلَّمَهُـــنَّ   أشـــجع حين ينتسـب

ولأحمد بن الجارث الخرار فى حبيب الطائى :

لو أنك إذا جعلت أباك أوساً   جعلت الجد حارثة بن لَامِ

وسميت التى ولدتك سعُدَى   فكنت مقابلا بين الكـــرام

● وله فيه :

أنت عندى عربىٌّ   ليس فى ذاك كـــلام

شعر فخذيك وســاقيـ   ـــك خُزَامى وثُمامُ (١)

وضلــوع الصــدر من   جســمك نبع وبشام (٢)

وقذى عينيك صمــغ   ونواصيـــك ثَغَـام (٣)

لو تحركت كذا لا   نْجَفلت منــك نعـام

★ ★ ★

---

(١) قُلامة ظفر ، ما يقلم من الأظافر ودلك كناية عن الشيء الصغير الحقير . والمراد أنه ليس بها أدنى اتصال .

(٢) وواو عمـرو ليست من بنية الكلمة ، وإنما أخذوها من داود ، ولذا نراه بواو واحدة كما يقال .

(٣) من نبات الصحراء .

(٤) النبع : شجر للقِسيِّ وللسهام ، والبَشَام شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويُستاك بقُضُبه .

(٥) والثغام نبات أبيض ، وأثعم الرأس صار كالثعامة بياضا .

الباب الرابع

سمات الجمال وأحوال المحبين

- الحسن من منظور عربى .
- رقة التشبيب
- قولهم فى الغزل .
- التزين والتطيب .
- ما يكتب على العصائب وغيرها
- ما يعترى المحبين من نحول وشحوب .
- عند الوداع

بين يدى هذا الباب

تُرى لو سئلت عن أحسن النساء – فى عصرنا – فماذا يكون جوابك ؟ .

وهل « مقاييس العصر » تلتقى مع تلك المقاييس التى تحدث عنها ابن عبد ربه ؟ .

وهل ترانا نجد فى إجابات الآخرين قدرا مشتركا تلتقى كلمتنا عليه ، إن وجهنا إليهم هذا السؤال ؟ .

وهل الحب أعمى ؟ والأمر قسمة ونصيب !! .

وإلى أى مدى تختلف وجهات النظر فى صفات الحسن ، وهل حقا للناس فيما يعشقون مذاهب ؟ .

● قيل لأعرابى : أتحسن صفة النساء ؟ قال :

إذا عذب ثناياها ، وسهل خداها ، ونهد ثدياها ، وفعم ساعداها والتف فخذاها ، وعرض وركاها ، وجدل ساقاها ، فتلك هم النفس ومناها .

● وقالوا : أحسن النساء : الرقيقة البشرة ، النقية اللون ، يضرب لونها بالغَداة إلى الحمرة ، وبالعَشِيّ إلى الصفرة ! .

ويحدثنا ابن عبد ربه عن صفات الحسن التى هام بها الشعراء والمحبون وملئوا الدنيا تشبيبا وغزلا رقيقا .. وتتراءى لنا كما عبروا عنها مجتمعة فى محبوبتهم فإذا هى : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ! .

ثم يحدثنا عن التزين والتطيب .. وحب الزينة – كما يقول الأستاذ العقاد فى كتابه : « المرأة فى القرآن » ... أصل من أصول الرياء يشاركها فيه الرجل فى ظاهر الأمر ، ولكنه يخصها فى جانب غير مشترك بينها وبين زينة الرجولة ؛ فإن الرجل يتزين ليعزز إرادته .

وإنما تتزين المرأة لتعزز إرادة غيرها فى طلبها ! .

وليست الزينة التى تراد للإغراء بالقبول ؛ كالزينة التى تراد للإغراء بالطلب !؛ فإن الفرق بينهما هو الفرق بين :

الإرادة والانقياد ، وبين من يريد ، ومن ينتظر أن يُراد !! ولا يفوت ابن عبد ربه أن يحدثنا عما يكتب على العصائب من شعارات الحب والهيام .. وما يعترى المحبين من شحوب ونحول . .

وأخيرا يعرض علينا لحظات الوداع والفراق وما يصحبها من :

عبرات تبعث الأسى ... وأنفاس حارة ، ودموع دامية وخوف ألَّا يكون لقاء ... حيث يفتضح العاشق فى يوم الرحيل !! ... عفوا إن كنت أطلت وأرجو ألا أكون قد أثقلت ! ولا أقول وداعا ، ولكن إلى لقاء فى الباب القادم بعد أن تستمتع بهذا الباب ! .

★ ★ ★

صفات الحُسْن

الحسن كما يرونه :

أهو حمرة فى صفرة ؟

عن أبى الحسن المدائنى قال :

الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن [١] ، والتضمخ [٢] . بالطيب ، كما تضرب بيضة الإدحىّ [٣] ، واللؤلؤة المكنونة .

وقد شبه الله عز وجل فى كتابه فقال :

﴿ كأنهن بَيْضٌ مكنون ﴾ [٤] .

وقال الشاعر :

كأن بيضَ نعامٍ فى ملاحِفِها إذا اجتلاهُن قَيظُ ليلةٍ ومد [٥]

لونُ وردٍ كسا البياضَ احمرارا

وقال آخر :

مروزى [٦] الأديم تغمرهُ الصفرة حيناً لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه لون وردٍ كسا البياضَ احمرارا

---

(١) الكن : البيت وجمعه أكنان وأكنة ، والكن وقاء كل شيء وستره .
(٢) ضَمَّخ جسده بالطيب لطخه به .
(٣) الأدحى . مبيض النعام فى الرمل .
(٤) الصافات : ٤٩ .
(٥) الوَمَد : محركة الحر الشديد مع سكون الريح أوندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر ويقال : ليلةٌ وَمدٌ ، وومدةٌ أو شدةُ حر الليل ، مع وجود رطوبة الجو .
(٦) ثياب مرورية ، نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

لقد أصبحت جميلا !

وقالت امرأة خالد بن صفوان [1] له :

لقد أصبحت جميلا ! فقال لها : وما رأيت من جمالى وما فِيَّ رداءُ الحسن ولا عموده ، ولا بُرْنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟ قال :

عمود الحسن : الشّطَاط [2] ، ورداؤه : البياض ، وبرنسه : سواد الشعر .

رقة البشرة وصفاء الأديم [3] :

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة ، الصافى الأديم ، إذا خجل يحمرُّ ، وإذا فَرِق يصفر .

ومنه قولهم : ديباج الوجه – يريدون تلونه .

حمرة خلطت صفرة فى بياض :

وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه :

حمرة خلطت صفرة فى بياض   مثل ما حاك حائك ديباجا [5]

الحسن ... يرون فيه ألوان الشمس بالضحى ... والعرار بالعشى ... والفضة والذهب والدر .. والعقيق ... والورد ! :

---

(١) خالد بن صفوان : من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام ابن عبد الملك وله معهما أخبار . وجاء فى كتاب الأعلام للزركلى : إنه لم يتزوج .

(٢) الشّطَاط ؛ كسَحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٣) الأديم : الجلد .

(٤) الفرق : الخوف .

(٥) الديباج : حرير سميك

وقال : إن الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ، وبالعشى صفراء .

وقال الشاعر :

بيضاء ضَحْوتُها وصفـــــراءُ العشية كالعــرارة (١)

وقال ذو الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

ومن قولنا :

بيضاء يحمرُّ خداها إذا خجلت كما جرى ذهب فى صفحتى ورق (٢)

ومن قولنا :

كم شادن (٣) لطف الحياء بوجهه فأصاره ورداً . على وجناته

ومن قولنا :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دُراً يعود من الحياء عقيقا (٤)

ومن قولنا .

عقائل كالآرام (٥) أما وجوهها فـدر ، ولكن الخدود عقيق

★ ★ ★

---

(١) العرار : بَهارُ البَرّ . واحدته عَرَارة ، ورهره أصفر طيب الرائحة ويقول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) الوَرِق : الفضة .

(٣) شدن الغزال فهو شادن إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ويشبهون الفتاة بالغزال .

(٤) العقيق : هناك أنواع من العقيق كثيرة ى ألوان بيضاء وسمراء وحمراء وزرقاء وهناك أنوع تصبغ حسب الطلب ، وهو من الأحجار الكريمة وكان المعروف لدى الشعراء الأحمر فراحوا يتعنون بجماله ، والدر أبيض .

(٥) العقيلة من النساء الكريمة المخدرة (المصونة فى خِدْرها) والآرام جمع رئم : الظبى الأبيض .

الجميلة من بعيد ... المليحة من قريب :

ومن قولهم فى الجارية :

جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك .

والمليحة : التى كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا .

وقال بعضهم :

الجميلة : السمينة من الجميل ، وهو الشحم .

والمليحة : أيضا من الملحة ، وهو البياض .

والصبيحة : مثل ذلك ؛ يشبهونها بالصبح فى بياضه .

★ ★ ★

قولهم فى رقة التشبيب [1]

● ومن الشعر المطبوع الذى يجرى مع النفس رقة ، ويؤدى عن الضمير إبانة ، مثل قول العباس بن الأحنف :

وليلة ما مثلها ليلةٌ صاحبها بالسعد مفحوع

ليلة جئناها على موعدٍ نسرى وداعى الشوق متبوع

لما خبت نيرانها وانكفأ الـ سامرُ عنها وهو مصروع [2]

---

(١) لا نكاد نجد فرقا فى الاستعمال اللغوى بين كلمات : الغزل ، والتشبيب والنسيب فاللغويون يعرفون إحدى هذه الكلمات بالأخرى ، ومغازلة النساء محادثتهن ، وذكر محاسن المرأة فى الشعر : وإذا كان الغزل فى أصله حديثا إلى النساء فإن النسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوى مبرحا وحبا عنيفا وأن يتحدث عما يُنْسَبُ إلى المرأة من ديار وآثار ، أما التشبيب فهو إبراز الصفات وتجليتها للعيون

(٢) انكفأ السامر : انصرف .

قامت تثنى وهى مرعوبةٌ تَوَدُّ أن الشَّمْلَ مجموع
حتى إذا ما حاولت خطوةً والصدر بالأرداف مدفوع[1]
بكى وشاحاها على متنها وإنما أبكاهما الجوع[2]
فانتبه الهادون من أهلها وصار للموعد مرجوع
ياذا الذى نمَّ علينا لقد قلت ومنك القول مسموع
لا تشغلينى أبدا بعدها إلا ونمامك منزوع
مابال خلخا لك ذا خرسةٍ لسان خلخالك مقطوع
عاذلتى فى حبها أقصرِى هذا لعمرى عنك موضوع

● وفى معناه لبشار بن برد

سيدى لا تأتِ فى قمر لحديث وارقب الدُّرَعا[3]
وتوقّ الطيب ليلتنا إنه واشٍ إذا سطعا

● وله أيضا

يقولان لو عزيت قلبك لارْعَوَى[4] فقلت وهل للعاشقين قلوب ؟!

● كثَيِّرٌ وشعر الجميل :

الأصمعى قال : سمع كُثيِّر عزَّة منشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذى

● يقول فيه :

ما أنت والوعد الذى تعديننى إلا كبرق سحابةٍ لم تُمطِر
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا هذا الغريم ولست فيه بمُعسر
ياليتنى ألقى المنية بغتةً إن كان يوم لقائكم لم يُقْدر[5]

---

(١) والصدر مدفوع بالأرداف والمراد بها العجز .
(٢) المتن : الظهر .
(٣) ليالٍ دُرَع : ثلاث ليل تلى البيض لاسْوِدَادِ أوائلها ، وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح .
(٤) ارعوى عن القبيح : ارتدع وأقلع عما كان فيه .
(٥) المنية : الموت

يهواك ماعشت الفؤاد وإن أمت يَتبع صداى صداك بين الأقبر (١)

فقال كثير :

هذا والله الشعر المطبوع (٢) ، ما قال أحد مثل جميل ، وما كنت إلا راويةً لجميل (٣) ، ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه .

الفرزدق وشعر لابن أبى ربيعة :

وسمع الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبى ربيعة الذى يقول فيه

وقالت وأَرْخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رِقبةٍ أهلى
فقلت لها : مالى لهم من ترَقُّبٍ ولكن سِرِّى ليس يحمله مثلى

فقال الفرزدق :

هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته وبكت على الطلول (٤) . وإنما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟

فلم يصنع عمر مع جميل شيئا ! .

● ولبشار بن بُرد :

ويح قلبى مابه من حبها ضاق من كتمانه حتى علن
لا تلُم فيها وحَسِّن حبها كل ما مرَّت به العين حسن

---

(١) الأقبر : جمع قبر . والصدى رجع الصوت . ويقصد أن روحه سوف تتابع روحها ، وتظل متعلقة بها .

(٢) الشعر المطبوع . غير المتكلف الصادر عن طبيعة الإنسان واتسم بالصدق .

(٣) الراوية : كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ويردده ويرويه وينشره .

(٤) الطلول : جمع طلل . ما بقى من آثار ديار المحبوبة . حيث كان اللقاء والأنس .

● وله :

كأنَّها روضـــــة منــــورة تنفست فى أواخر الســـحر

ولبشار ؛ وهو أشعر بيت قاله المولدون (١) فى الغزل :

أنا والله أشتهى سحر عينيـ ـــك وأخشى مصارع العشـــاق

● وله :

حوراء إن نظرت إليــــــ ــك سقتك بالعينين خمــرا
وكـــأنها برد الشـــــــرا ب صفا ووافق منك فطِرا

● ولأبى نواس :

وذات خدٍّ مورَّدْ قوهيــــــة المتجـــــرد (٢)
تأمـل العين منهــا محاسـنا ليـس تنفـد
فبعضه فى انتهـــاء وبـــعضه يتولـــــد
وكلما عدت فيـــه يكون فى العود أحمد

● وله أيضا :

ضعيفة كر الطرف (٣) تحسب أنها قريبةُ عهدٍ فى الإفاقةِ من سُقم

★ ★ ★

(١) المولَّدون : رجلٌ مُوَلَّد عربى غير محض ، وكلام مُوَلَّد كذلك . والمَوَلَّد المحدث من كل شىء ، والمولدون من الشعراء أو الأدباء سموا بذلك لحدوثهم ، وذلك عندما اختلط العرب بغيرهم . نشأ جيل المولدين .

(٢) القوهية : ثياب بيضاء ، ويقصد بها بياض جسمها .

(٣) الطرف : العين ، وكر الطرف نظراته مرة بعد أخرى ، وفى القرآن : ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ [الملك : ٤] . وفى الشطر الثانى حسن تعليل لما يبدو من ضعف نظراتها ؛ فكأنما هى قريبة عهد فى الإفاقة من سقم ومرض - إنه الحب .

قولهم فى الغَزل

● قال رجل لمحمد بن سيرين :

ما تقول فى الغزل الرقيق يُنشده الإنسان فى المسجد ؟ .

فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة ، وتقدم إلى المحراب ، فالتفت إليه ، فقال :

وتبْردُ بردَ رِداءِ السَّعرو سِ فى الصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسخنُ ليلة لا يستطيع نباحا بها الكلبُ إلا هَرِيراً (١)

ثم قال : الله أكبر .

● الحجاج وأبو هريرة :

وقال الحجاج :

دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبى ﷺ فإذا بأبى هريرة قد أكبَّ الناس عليه يسألونه ، فقلت : هكذا ! افرجوا لى عن وجهه . فأفرج لى عنه .

فقال له : إنى إنما أقول هذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما خَيالُ أرْوَى وخيالُ تكتما
تُريك وجهاً ضاحكا ومعصما وساعِداً عَبْلاً (٢) وكفا أدرما

فما تقول فيه ؟ قال : لقد كان رسول الله ﷺ يُنشدُ (٣) مثل هذا فى المسجد فلا ينكره .

---

(١) العبير : أخلاط من الطيب . والهرير : صوت الكلب أقل وأخفض من النباح لقلة صبره على البرد ويقصد : أنها باردة الصيف . سخنة المشتى .

(٢) عبلاً : ضخما ممتلئا ، وكفا أدرما : ناعما أملس ، لينا واراه اللحم .

(٣) ينشد : أى يقال ويلقى فى حضرته مثل هذا الشعر فلا ينكره كما سيأتى فى أبيات الغزل التى ألقاها كعب بن زهير فى المسجد بين يديه ، وخلع بردته عليه ، وعفا عنه .

كعب بن زهير بين يدى النبى ★

ودخل كعبُ بن زهير على النبى ﷺ فمثل بين يديه وأنشده :

بانت سُعاد فقلبى اليوم متبولُ   متيمٌ إثرها لم يُفد مكبولُ (١)

وما سُعاد غداة البين إذ رحلوا   إلاأغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ (٢)

هيفاءُ مُقْبلةً عجـزاءُ مُدبِرةً   لا يُشتكى قصرٌ منها ولاطُولُ (٣)

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها   كما تَلَوَّنُ فى أثوابِها الغُولُ (٤)

★ كان واحدا من الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولكنه جاء تائبا فقبل الرسول توبته وأهداه بردته

(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل : هى امرأته وابنة عمه ، وقد خصها بالذكر لطول غيبته عنها ؛ لهروبه من النبى ﷺ بعد أن هجاه . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه ومتيم : دليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد وهو يريد : أن محبوبته فارقته ، فصار قلبه فى غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لا يجد من قيده فكاكا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا

(٢) الأغن : الظبى الصغير الذى فى صوته غُنَّة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم . والطرف النظر ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول من الكحل (بفتح الحاء) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبى الموصوف بغنة الصوت ، وغض البصر ، والكحل . وهى من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : من الهيف (بتحريك الياء) وهو ضمور البطن ودقة الخاصرة . ومقبلة : حال وعجزاء : أى كبيرة العجز وهو الردف . إنه يصفها فى حالى إقبالها وإدبارها . لا يشتكى الرائى عند رؤيتها قصرا فيها . وهو يريد : أن محبوبته يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر .

(٤) الغول : ساحرة الجن فى زعمهم . يزعمون أن الغول تُرَى فى الصحراء بألوان شتى ، فتأخذ جانبا عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك وهو يريد أن هذه المحبوبة لا تدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى ، وترى فى صور مختلفة كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

ولا تمسكُ بالعهدِ الذى وعدت إلا كما يُمسكُ الماءَ الغرابيلُ (١)
كانت مواعيدُ عُرقُوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ (٢)
فلا يَغُرَّنْكَ ما منَّتْ وما وَعدَتْ إنَّ الأمانىَّ والأحلامَ تَضْليلُ (٣)

. . . .

ثم خرج من هذا إلى مدح الرسول ﷺ فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألفا .

● ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم ولامك أقوامٌ ولومُهُمُ ظُلْمُ
ونَمَّ عليك الكاشحون (٤) وقبل ذا عليك الهوى قد نم لو نفع النمُّ
فيا من لنفسٍ لا تموت فينقضى عَنَاها ، ولا تحيا حياةً لها طعمُ
تجنبت إتيان الحبيب تأثُّما (٥) ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

● ومن شعر عروة بن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُبادها ، وكان من أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وجدى (٦) وبحت به قد كُنت عندى تُحبُّ الستر فاستترِ

---

(١) تمسّك : أى تتَمَسّكُ . يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء . مبالغة فى النكث والنقض وعدم الوفاء بالعهد ؛ لأن الماء بمجرد وضعه فى العربال يسقط منه .

(٢) كانت : صارت . وعُرقوب (بضم العين) رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فصرب به المثل فى الخلف . والأباطيل جمع باطل .

(٣) ما منت : ما مَنَّتْك إياه وحملتك على تمنيه أو ما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك به من ترك الهجر ؛ فإن الأمانى التى يتمناها الإنسان والأحلام التى يراها فى المنام سبب فى الضلال ، وضياع الزمان .

(٤) الكاشحون : جمع كاشح وهو الذى يضمر العداوة .

(٥) تأثما : تحرجا .

(٦) وجدى : حبى وفى رواية شجوى

ألستَ تُبْصِر مَنْ حولى ؟ فقلت لها غطى هواك وما أُلْقى على بصرى (١)

● **وقد وقفت عليه امرأة فقالت :**

أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

إذا وجدتُ أُوار (٢) الحب فى كبدى غدوتُ نحو سقاءِ الماءِ أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنارٍ على الأَحشاء تتقدُ ؟

والله ما قال هذا رجل صالح ؛ .

وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله ؛ بل لم يكن مرائيا ، ولكنه كان مصدوراً فنفث (٣) .

● ومن قول عبد الله بن المبارك (٤) ، وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها وتعرت ذات يوم تبترد (٥)
أكما ينعتُنى تُبْصِرْنَنِى عَمْرَ كُنَّ الله أم لا يقتصد (٦)
فتضاحكن وقد قلن لها حسنٌ فى كلِّ عينٍ من تَود (٧)
حسداً حمّلْنَه من شأنها وقديماً كان فى الحبِّ الحسد

● وقال شريح القاضى وكان من جلة التابعين والعلماء المتقدمين ، استقضاه (٨) على رحمه الله ومعاوية ، وكان يزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب

---

(١) غطى هواك ... أى ستر حبى لك كل شيء عنى فلا أرى غيرك .
(٢) أُوَارَ الحب : حره ولهيبه ! .
(٣) يقصد أنه أخرج ما كان يعانى منه فى صدره ، وصرح بما يعانيه .
(٤) الأبيات للشاعر القرشى عمر بن أبى ربيعة رعيم الغَزِلين وقد مات سنة ٩٣ هـ المنتخب من أداب العرب وليس كما يقول صاحب العقد وأول القصيدة :
ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجد
(٥) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .
(٦) ينعتنى : يصفنى ، وعمرَكُنَّ اللهَ : أى أذكركن الله . يقتصد : يعتدل فلا يبالغ .
(٧) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .
(٨) استقضاه : ولاه القضاء .

فنقم عليها فضربها ، ثم ندم فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم ... فشُلَّت يمينى يوم أضرب زينبا
أأضْرِبُها من غير ذنبٍ أتَتْ به ... فما العدلُ منى ضربُ من ليس أذنبا؟
فزينب شمسُ والملوك كواكبٌ ... إذا برزت لم تُبدِ منهن كوكبا [1]

★ ★ ★

لبعض الأعراب :

● ذكر أعرابى امرأة فقال :

لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفى كل عضو منها شمس طالعة [2]! .

● وذكر أعرابى امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها ، وما نقص منه ! .

● وقال أعرابى فى امرأة ودعها للمسير : والله ما رأيت دمعة ترقرق من عين بإثمد [3] على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أمطرتها عينها ، فأعشب لها قلبى ! .

● وقال : سمعت أعرابيا يقول : إن لى قلبا مروعاً ، وعينا دموعاً ؛ فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟!!

---

(١) هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبيانى للنعمان فى الاعتذار والمدح
فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طَلَعتْ لم يبدُ منهن كوكب
(٢) مشرقة ومتألقة .
(٣) الإثمد : عنصر معدنى يكتمل به (الكحل) .

● وقال أعرابى : دخلت البصرة فرأيت أعينا دعجاً (١) ، وحواجب زجاً (٢) ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرتنيه . قلت له :

فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ما أحل الله مما حرم : الإشارة بغير باس والتقرب من غير مساس .

● وذكر أعرابى امرأة فقال : هى أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول :

ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا (٣) ، ولقد تقطعت كبدى للعاشقين ، لوم العاذلين قرطة (٤) فى آذانهم ، ولوعات الحب جبرات على أبدانهم ، مع دموع على المغانى ، كغروب السوانى (٥) .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشفى قلب تضجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحب بى طرفها (٦) ، ويتجهمنى لسانُها . قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ .

---

(١) الدُّعج : جمع دعجاء ، وهى شديدة السواد مع سعتها .

(٢) الزُّج : الدقيقة ، ويقول الشاعر : « وزججن الحواجب والعيونا » والزُّجاء : الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خُطّا بقلم .

(٣) الصَّبَا : الشوق والعشق والهيام فى الحب .

(٤) ما يعلق فى شحمة الأذن جمع قُرط .

(٥) المغانى جمع مغنى منزل المحبين حيث يجد الإنسان المحب ما يغنيه عن كل الدنيا والغَروب : جمع غرْب وهو الدلو ، والسوانى جمع سانية وهى ما سقى عليه من بعير وغيره .

(٦) كما يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

أو كما يقول آخر : لسانى عليه ... وقلبى معه

قال : إنى ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك .

● وذكر أعرابى نسوة خرجن متنزهات ، فقال :

وجوه كالدنانير (١) ، وأعناق كأعناق اليعافير (٢) ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول (٣) تخفق ، وأوشحة (٤) تعلق ، وكم أسير لهن ؟ وكم مطلق ؟ .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول : اتبعت فلانة إلى طرابلس الشام ، والحريص جاحد ، والمضل ناشد ، ولو خضت إليها النار ما ألمتها .

● قال :

وسمعت أعرابيا يقول :

الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول : من أبكته المنازل والطلول .

● وقال أعرابى :

كنت فى الشباب أعض على الملام ، عَضَّ الجواد على اللجام ، حتى أخذ الشيب بعنان شبابى .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

إن لسانى لذكرها لذلول ، وإن حبها لقلبى لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

---

(١) جمع دينار ، ويشبهها بها فى الاستدارة واللمعان .

(٢) اليعافير : جمع يَعْفُور ، وهو الظبى بلون التراب أو عام . وقد تضم الياء .

(٣) الحجول : جمع حجل . الخَلْخال . وفى القرآن : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ .

(٤) الأوشحة : جمع وشاح . أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

● ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال :

كلامهن أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل [١] ، فروعهن [٢] أحسن من فروع النخل .

● ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي ، فكلما بكى قبلته ، فأنشأ يقول :

ياليتني كنت صبيا مرضعا تحملني الذلفاء حولا أكتعا [٣]
إذا بكيت قبلتني أربعـــا فلا أزال الدهر أبكي أجمعا

● العتبي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء فقال :

تبسم [٤] عن خمش اللثاث ، كأقاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه .

● وقال العتبي : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم ، وشالت أرجلها ، فمازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت :

ياهذا أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله ما يراني إلا الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها ؟! .

● ذكر أعرابي امرأة فقال :

هي السقم الذي لابرء معه ، والبرء الذي لا سقم معه وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

---

(١) الوبل بالمحل : المطر بالأرض الجدباء .
(٢) يقصد الضفائر .
(٣) كاملا .
(٤) تبسَّمُ أي تتبسم فحذفت تاؤه تخفيفا على المتكلم . واللثاث جمع لثة . والأقاحي جمع أقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان واحدته أقحوانة .

● وقال أعرابى – وقد نظر إلى جارية بالبصرة فى مأتم – :

بصريةٌ لم تبصر العين مثلها غدت بيياض فى ثياب سواد
غدوت إلى الصحراء تبكين هالكا فأهلكت حيا، كنت أشأم عاد [1]!
فيارب خذ لى رحمةً من فؤادها وحل بين عينيها وبين فؤادى

● وقال فى جارية ودعها :

مالت تودعنى والدمعُ يغلبها كما يميلُ نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية ياليت معرفتى إياك لم تكن

● العتبى قال : أنشد أعرابى :

يازين من ولدت حواء من ولد لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
أنت التى من أراه الله صورتها نال الخلود فلم يهرم ولم يشب

● وأنشد الرياشى لأعرابى :

من دمنة خلقت عيناك فى هتن فما يرد البُكا جهلاً من الدمن [2]
ماكنت للقلب إلا فتنةً عرضت ياحبذا أنت من معروضة الفتن
تُسيء سلمى وأجزيها به حسناً فمن سواى يجازى السوء بالحسن ؟

● قال : وسمعت أعرابيا يصف امرأة فقال :

بيضاء جعدة ، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة [3] كتفيها ، وحلمتى ثدييها ، ورضفتى ركبتيها ، ورانفتى أليتيها ، وأنشد :

---

(١) أشأم عاد : الأشأم الذى يأتى بالشؤم . وأشأم عاد كان سببا فى هلاك قومه عاد ، وشؤمهم .
(٢) الدمنة بقية الماء فى الحوض . وعين هتون : تصب الدمع .
(٣) المشاشة رأس العظم اللين .
(٤) الرضفة عظام فى الركبة كالأصابع المضمومة .

أبت الروادفُ والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدةً وهجنَ غيورا

● وقال أعرابى :

ليت فلانة حظى من أملى ، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل بصرى دونها ، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ .

● وذكر أعرابى امرأة فقال :

تلك شمس باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى اقتضائها (١) ، وإن نفسى لكتوم لدائها ، ولكن تفيض عند امتلائها .

أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

وياشمس أرضيها التى تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سمائها
شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها

● وقيل لأعرابى :

ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :

نعم . كان الحب فى القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئا أحبها وإلا فلا .

وكان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا (٢) ، ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا ، وتناشدا الأشعار ، وإنه ليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعده ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدا شعرا ، ولكن يعاشرها ويطلب الولد .

---

(١) اقتضائها : طلبها .

(٢) يظل العام كله يطوف بيتها ، وكان هذا يكفيه منها ويفرحه أن يرى من يراها وكذلك شأن المحبين فهذا جميل يقول :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقَرَّتْ بلابله
بالمنى ، وبالا أستطيع وبالأمل المرجو خاب آمله

● وقال أعرابى :

شكوت ! فقالت ، كل هذا تبرما بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت : لشدما صبرت ! وماهذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصينى ، فأبعد طالبا رضاها ، فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى تؤذيها ، وصبرى يسوؤها وتجزع من بعدى ، وتنفر من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعلمونها أشيروا بها واستوجبوا (١) الشكر من ربى

التزين والتطيب

● دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده قاعداً على حشايا مصبغة ، وجارية تغلله بالغالية (٢) فقال له .

يرحمك الله ، جئت أسألك عن شيء فوجدتك فيه ! .

قال : على هكذا أدركت الناس .

● وفى حديث : أن النبى ﷺ قال : إياكم والشعث ، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهِن بها .

● وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة :

« مالى أراك شعثاء ، مرهاء ، سلتاء ؟ » .

قالت : يارسول الله أولَسْنا من العرب ؟

قال : « بلى ، ربما أُنسيت العربُ الكلمة ، فيعلمنيها جبريل » .

الشعثاء : التى لا تدهن .

والمرهاء : التى لا تكتحل .

---

(١) ولكم الشكر جزاء من ربكم على حسن صيعكم .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب ، وتعليت بالعالية وتغللت إذا تطيبت بها . والحشايا : جمع حشية وهى ما يجلس عليه

والسلتاء : التى لا تختضب .

● وقال ﷺ :

« ما نلتُ من دنياكم إلا النساء والطيب » .

● وروى مالك عن يحيى بن سعيد ، أن أبا قتادة الأنصارى قال يارسول الله ، إن لى جمة (١) ، أفرجِّلُها يارسول الله ؟ .

قال : « نعم وأكرمها » .

قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين .

★ ★ ★

---

(١) الجُمَّةُ من الإنسان : مجتمع شعر ناصيته . يقال : هى التى تبلغ المنكبين . والجمم : جمع . مثل غرفة وغرف .

ما يكتب على العصائب وغيرها

ظلمتنى فى الحب ياظالم !

● أبو الحسن قال : دخلت على هارون الرشيد ، وعلى رأسه جوار كالتماثيل ، فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت مكتوبا عليها بصفائح الذهب :

ظلمتنى فى الحب يا ظالـــم   والله فيمـا بيننـا حاكـــم

● قال : ورأيت على عصابة أخرى :

وضع الخد للهوى عزٌّ

● قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه :

أفلَتُّ من حور الجنـــان   وخلقـــت فتنةَ من يـرانـــى

● قال إسحق بن إبراهيم :

دخلت على الأمين محمد بن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف فى قراطق [1] مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

لى طاب العيش فى الصـ   ـف ولى طاب الســرور
ممسكى ينفى أذى الحـــ   ـر إذا اشـتد الحرور [2]
الندى والجود فى وجـــ   ـه أمين الله نور [3]
ملك أسـلمه الشـــــ   ـبهُ وأخلاه النظير

● وفى عصابة :

ألا بالله قولـــوا يا رجـال   أشمـسٌ فى العصابة أم هلال

---

(١) قراطق : جمع قرطق وهو القباء أشبه ب (الروب) . والوصائف جمع وصيفة .
(٢) الحرور : حر الشمس .
(٣) الندى : الكرم والعطاء .

● فى أخرى :

أتهوون الحيـاة بـلا جنـون فكفوا عن ملاحظـة العيـون

● وكتبت ورد جارية الماهانـى على عصابتها ، وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها :

تمت وتم الحسن فى وجهها فكل شىء ما سواها محال
للناس فى الشهر هلال ولـى فى وجهها فى كل يوم هلال

● وكتبت فى عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانى وهما :

يا راميا ليس يدرى ما الذى فعلا عليك عقلى فإن السهم قد قتلا (١)
أجريته فى مجارى الروح من بدنى فالنفس فى تعب والقلب قد شغلا

● قال على بن الجهم :

خرجت علينا عالج جارية خالصة كأنها خوط بانٍ وهى تميس فى رقة ، وعلى طُرِّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

ياهلالا من القصور تجلـى صام طرفـى لمقلتيك وصلـى
لست أدرى ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلى (٢)
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت محلا

● قال : وخرجت إلينا منال وعليها درع خام على جانبه الأيمن مكتوب :

كتب الطرف فى فؤادى كتابا هو بالشـوق والهوى مختوم

وعلى الأيسر مكتوب :

كأن طرفى على فؤادى بلاء إن طرفى على فؤادى مشوم

---

(١) العقل : الدية .

(٢) يتقلى : يكره النوم ولا يطيقه ، ويتقلب فى فراشه .

● قال : وكان على عصابة ظبى جارية سعيد الفارسى مكتوب بالذهب :

العين قارئة لما كتبت   في وجنتي أنامل الشجن [1]

وقال : وحدثنى الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جاريتها شكل :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه   إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وإننى بك واثق   ألا ينال سواى منك نصيبا

● وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن :

بدر على غصن نضير   شَرِقُ الترائب بالعبير [2]

وعلى عاتقه الأيسر :

خطت صحيفة وجهه   فى صفحة القمر المنير

● وكتبت وصيف جارية الطائى على عصابتها :

فمازال يشكو الحب حتى حسبته   تنفس فى أحشائه وتكلما
فأبكى لديه رحمة لبكائه   إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

● وكان على عصابة مزاج وهى من مواجن أهل بغداد وفتاكها :

قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم   هيهات إن سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها   حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

● وكتبت عنان جارية الناطفى على عصابتها :

الكفر والسحر فى عينى إذا نظرت   فاغرب بعينيك يا مغرور عن عينى
فإن لى سيف لحظ لست أغمده   من صنعة الله لا من صنعة القَيْنِ

---

(١) الشجن : الحزن والهم .
(٢) يفوح العبير من ترائبه . والترائب جمع تريبة وهى العظمة من الصدر . أعلاه والعبير أخلاط من الطيب .

● وكتبت حدائق فى كفها بالحناء :

ليس حُسن الخضاب زين كفى   حُسن كفى زينٌ لكل خضاب

● قال وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفا محلى ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمل حسن جارية   يحار بوصفها البصر
مذكـرةٍ مؤنثـةٍ   فهى أنثى وهى ذكـر

● وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكفه سيف بِعَيْنيه   يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارما   فكيف أبقى بين سيفيه (١)
فلو تراه لابسا درعه   يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه   أقتل من سيف بكفيه (٢)

● وكتبت واجد على منطقة جاريتها منصف الكوفية :

. ...

وفؤادى رق حتـى   كاد من صدرى ينسل
بعض مابى يصدع القلـ   ـب فما ظنك بالكل

● ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

اشرب على منظر أنيق   وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقا   واحذر على خصرها الدقيق (٤)
وقل لمن لام فى التصابى   إليك خلى عن الطريق

● وقف صريع الغوانى بباب محمد بن منصور ، فاستسقى ، فأمر

---

(١) تردى : ارتدى ولبس .. والمرهف الصارم : السيف القاطع .

(٢) السيف من طرفه: نظرات عينيه .

(٣) الكَعَاب . من نهد ثدياها وأصبحت ناضجة .

وصيفا له فأخرج إليه خمراً فى كأس مذهبة ، فلما نظر إليها فى راحته قال :

ذهب فى ذهب را ... ح بها غصن لجين (١)
فأتت قرة عينـــى ... من يدى قرة عـــين
قمر يحمل شمســا ... مرحبـا بالقمـريـن
لا جرى بينى ولا ... بينهمـــا طائرُ بَيْنٍ
وبقينا ما بقينــــا ... أبـــداً متفقـــين
فى غَبوق وصَـبـوح ... لم نبغ نقداً بدين (٢)

● محمد بن إسحاق قال : حدثنى أحمد بن عبد الله قال : رأيت على مروحة مكتوبا :

الحمـد لله وحـده ... وللخليفـة بعـــده
وللمحـــب إذا ما ... حبيبـه بات عنده

● وقال : ورأيت فى مجلس سريرا مكتوبا عليه بالذهب :

أشهى وأعذب من راح ومن ورد ... إلفان قد وضعا خداً على خد (٣)
وضم أحدهما أحشاء صاحبه ... حتى كأنهما للقرب فى عقد
هذا يبوح بما يلقاه من حزن ... وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

● وفى عصابة أخرى :

وإن يحجبوها بالنهار فمن لهم ... بأن يحجبوا بالليل عنى خيالها

لعن الله من عذر !!

● قال أبو عبيدة : ورأيت جارية على جبينها مكتوبا :

كتـبت فى جبـينها ... بعبير على قمـر (٤)

---

(١) اللجين : الفضة .
(٢) الغَبوق والصَّبوح : شراب المساء وشراب الصباح .
(٣) الراح : الخمر .
(٤) العبير : أخلاط من طيب وعطور .

في سطور ثلاثة . لعن الله من عذر
وتناولت كفها ثم قلت اسمعي الخبر
كل شيء سوى الخيا نة في الحب يغتفر

لا تدعني موسوسة

● قال الأصمعي : رأيت على باب الرشيد وصائف (١) على عصابة واحدة منهن مكتوبا :

نحن حورٌ نواعم من أراضٍ مقدسة
أحسن الله رزقنا ليس فينا مُنْحِسَة (٢)
فاتق الله يافتى لا تدعني موسوسة

قولهم في النُّحول

قال عمر بن أبي ربيعة (٣) القرشي : يصف نحول جسمه وشحوب لونه في شعره الذي يقول فيه :

رأتْ رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخْصَرُ
أخا سفرٍ جواب أرضٍ تقاذفت به فلوات (٤) فهو أشعث أغبر
قليلا على ظهر المطية شخصه خلا ما نفى عنه الرداء المحبر

وفي هذا المعنى يقول :

فلما فقدت الصوت منهم وأُطفئت مصابيح شبّت بالعشاء وأنْوُر (٥)

---

(١) وصائف : جمع وصيفة .
(٢) منحسة تنحس من يعاشرها ، ويقصدن أنهن مُسعدات لمن يقبل عليهن .
(٣) شاعر غَزِل مفتون بالنساء ، وصاف لهن ، محبب إليهن ، لا يمدح سواهن .
(٤) فلوات : جمع فلاة : الصحراء .
(٥) شبت : أوقدت . أنْوُر : نيران جمع نار . إن شئت همزت وإن شئت لم تهمز .

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رُعيانٌ ونوَّم سُمَّرُ (١)

وخفض عنى الصوت أقبلت مِشْيةَ الـ ... حباب وشخصى خيفة القوم أزور (٢)

فحييت إذ فاجأتها فتلهفت ... وكادت بمكتوم التحية تجهرُ (٣)

وقالت –وعضت بالبنان– فضحتنى ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر (٤)

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولى من عدوك حضر (٥)

فو الله ما أدرى أتعجيلُ حاجةٍ ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر (٦)

فقلت لها: بل قادنى الشوق والهوى ... إليك وماعين من الناس تنظر

فيالك من ليل تقاصر طولـه ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

ويالك من ملهى هناك ومجلسٍ ... لنا لم يكدره علينا مُكَدِّرُ

يمجُ ذكى المسك منها مفلج ... رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر (٧)

وترنـو بعينيهـا إلـى كمارنـا ... إلى ربربٍ وسط الخميلة جؤذر (٨)

---

(١) قُمَيْر : تصغير قمر ؛ لأنه كان غير تام ، ويكون ذلك أول الشهر وآخره . روَّح : ذهب عشية . رعيان : رعاة : جمع راع . سمَّر : جمع سامر ، وهم الجماعة يتحدثون ليلا .

(٢) الحباب : الحية . أزور : مائل منحرف . ويروى : وَنفضتُ عنى العين مكان وخُفض عنى الصوت . والمعنى : احترست من العين وأمنتها . ومنه النفضة جمع نافض وهم الجماعة يبعثون فى الأرض لينظروا أفيها عدو أم لا ؟ .

(٣) ويروى فتولهت . بدلا من تلهفت . تحيرت وجزعت . وبمكنون بدلا من بمكتوم .

(٤) ميسور أمرك : السهل منه – والفعل يسر . أعسر : صعب والفعل عسُر بضم السين .

(٥) أريتكِ وأرأيتك بمعنى أخبرنى .

(٦) تتساءل عن سر مبادرته بالمجىء .

(٧) يمج : مج الشراب من فيه رمى به وبابه ردَّ ، والمراد أن لفيها شذاً ذكيا. مُفَلَّج : الفلج فى الأسنان تباعد ما بينها ، وفلج من باب طرب . والحواشى : الجوانب جمع حاشية ، والغروب جمع غرب ، وهو حد كل شىء ومنه غرب السيف واللسان . والمراد أن أسنانها رقيقة محددة . مؤشر : محزز ، ويكون ذلك فى الحداثة .

(٨) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف . الربرب : القطيع من البقر الوحشى ، والخميلة : الموضع يكثر فيه الشجر . والجؤذر بضم الذال وتفتح ولد البقرة الوحشية . يصف هيئة نظرها إليه فى موضع تقر فيه العيون ؛ حيث الظل والسكينة .

يرف إذا تفتر عنه كأنه حصى بردٍ أو أقحوانٍ منور (١)
فلما تقضى الليل إلا أقله وكادت توالي نجمه تتغور (٢)
أشارت بأن الحيَّ قد حان منهم هبوبٌ ولكن موعدٌ لك عزور (٣)
فلما رأت من قد تثوَّر منهم وأيقاظهم قالت: أشر كيف تأمر (٤)؟
فقلت : أُباديهم فإما أفوتُهم وإما ينال السيف ثأراً فيثأرُ (٥)
فقالت : أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقاً لما كان يؤْثر (٦)
فإن كان ما لابد منه فغيره من الأمر أدنى للخفاء وأستر (٧)
أقص على أختى بدء حديثنا ومالى من أن تعلما متأخرُ
لعلهما أن تبغيا لك مخرجاً وأن ترحبا صدراً بما كنت أحصر (٨)
فقالت لأختيها : أعينا على فتى أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا : أقلى عليك اللوم فالأمر أيسر
يقوم فيمشى بيننا متنكرا فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر (٩)
فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوصٍ كاعبان ومعصر (١٠)
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ألم تتق الأعداء والليل مقمر ؟

---

(١) يرف : يبرق ويتلألأ من رفيف البرق . يفترُّ : يضحك ضحكا حسنا . الأقحوان : البابونج . وهو نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر والجمع أقاحىّ .
(٢) التوالى : التتابع . تتغوَّر : تغور فتذهب .
(٣) عَزْوَر : موضع قرب مكة .
(٤) تثور : ثار وتحرك . الأيقاظ : جمع يقظ .
(٥) أباديهم : بادى بالعداوة : جاهر بها .
(٦) أتحقيقا : أى أتفعل هذا تحقيقا . الكاشح : الذى يضمر لك العداوة .
(٧) أدنى للخفاء : أقرب إلى الستر والتخفى .
(٨) تُرَحّبا صدرًا : يتسع صدرهما أحصر: أضيق . أى بما كان يضيق به صدرى .
(٩) سقط بيت يقول فيه الشاعر قبل هذا البيت :
فقالت الصغرى سأعطيه مِطرفى ودرعى وهذا البُرد إن كان يحذر
والمطرف بضم الميم وكسرها واحد المطارف وهى أردية (تلبس فوق الثياب) من خز مربعة لها أعلام . درعى : قميصى مذكر . وأما درع الحديد فمؤنثة والبُرْد : ثوب مخطط .
(١٠) مِجَنّى : تُرسى . ثلاث : ذكَّر اسم العدد لأنه أراد ثلاث فتيات كما بينه بالبدل . الكاعب : التى نهد ثدياها . والمعصر التى بلغت شبابها وأدركت أو التى راهقت العشرين . والفعل أعصر .

وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً أما تستحى؟ أما ترعوى؟أم تفكر[1]؟

● ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مجن ابن أبي ربيعة كان أحسن من مجنك هذا ! .

يريد قول عمر بن أبي ربيعة .

فكان مجنى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

● وقال أعرابي في النحول :

ولو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثمام [2] ما تأود عودها

● وقال آخر

إن تسألونى عن تباريح الهوى فأنا الهوى وابو الهوى وأخوه
فانظر إلى رجل أضر به الأسى لولا تقلب طرفه دفنـــوه [3]

● وقال مجنون بنى عامر فى النحول :

ألا إنما غادرت يا أم مـالك صـدى أينما تذهب به الريح يذهب

● وللحسن بن هانى :

كما لا ينقضى الأرب كذا لا يفتر الطلب
ولم يبق الهـوى إلا أقلى وهـــو محتسب
سوى أنى إلى الحيــوا ن بالحركات أنتســـب

* * *

---

(١) السادر : الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ! ويرعوى : ينزجر ويعتبر .
(٢) الثمام كغراب : نبت . وتأود : مال وانعطف . يقول : إن الحب لم يبق منه إلا ما لو علق بعود ثمام لم يمل .
(٣) وهذا لولا تحرك عينه لظنوا أنه مات ودفنوه .

● وقال آخر وهو خالد الكاتب :

هذا محبك نضو لا حراك به
لم يبق من جسمه إلا توهمه[1]

● ومن قولنا فى هذا المعنى :

سبيل الحب أوله اغترار — وآخره هموم وادكار

● ومثله من قولنا :

لم يبق من جُسمانه — إلا حشاشةُ مبتئس[2]
قد رق حتى ما يُرَى — بل ذاب حتى ما يحس

● وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى فأربى على الأولين والآخرين :

يامن تموت عمداً — فكان للعين أملى
وفى الشعوثة أربى — فكان أشهى وأحلى
أردت أن تزدريك — العيون هيهات كلا
يا عاقد القلب منى قليلا — من القليل أقلا
يكاد لا يتجزا — أقل فى اللفظ من لا

● ولأبى العتاهية :

تلاعبت بى ياعُتبَ ثم حملتنى — على مركب بين المنية والسقم
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى — ألامسعدٌ[3] حتى أنوح على جسمى؟

● وله :

لم تبق منى إلا القليل وما — أحسبها تترك الذى بقيا

★ ★ ★

---

(١) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

(٢) الحشاشة : بقية الروح فى جسم المريض .

(٣) مُسْعِدٌ : مساعِدٌ . وعُتْب منادى مُرَخَّم (حذف آخره) وعتبة جارية كان أبو العتاهية يحبها ولم تكن تبادله حبا بحب وكانت جارية لريطة بنت أبى العباس السفاح .

في التوديع :

ابن حميد وجارية له :

● قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج [1] بالرقة : ودعت جارية لى تسمى « شفيعا » وأنا أضحك وهى تبكى ، وأقول لها :

إنما هى أيام قلاقل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بى السفر ، واتصلت بى الأيام ، كتبت إليها كتابا ، وفى أسفله :

ودعتها والدمع يقطر بيننا وكذاك كلُّ ملذعٍ بفراق
شغلت بتفبيض [2] الدموع شمالها ويمينها مشغولة بعناق

قال : فكتبت إلى فى طومار [3] كبير ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله ، وفى آخره ياكذاب ، وسائر الكتاب أبيض .

قال : فوجهت الكتاب إلى ذى الرياستين : الفضل بن سهل وكتبت إليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله ، وفى آخره أقول :

فودعتها يوم التفرق ضاحكا إليها ولم أعلم بأن لا تلاقيا
فلو كنت أدرى أنه آخر اللِّقا بكيت وأبكيتُ الحبيب المصافيا

قال : فكتبت إلى كتابا آخر ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله ، وفى آخره :

---

(١) الخراج : ما يحصل من غلة الأرض وقد أطلق على الجزية ، وعامل الخراج من يتولى تحصيله .

(٢) تفبيض الدموع : مسحها .

(٣) طومار : قال فى القاموس : الطامور والطومار الصحيفة جمعه طوامير .

أعيذك بالله أن يكون ذلك ! فوجهته إلى (ذى الرياستين الفضل بن سهل)، فأشخصنى إلى بغداد ، وصيرنى إلى ديوان الضياع .

ابن يحيى وجاريتان

● محمد بن يزيد الربعى عن الزبير عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقريطش ، فطال مقامه بها ، تمتع بجارية رائعة الجمال ، بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها ، وكان قبل ذلك متيما [1] بجارية خلفها بالعراق فسلا [2] عنها ؛ فبينما هو مع الإقريطشية فى سرور وحبور يحلف لها ألا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم إليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب :

كيف بعدى لاذقتم النوم أنتم ... خبرونى مذ بنت عنكم وبنتم
بمراض الجفون من خرد العـــ ... ـين وورد الخدود بعدى فتنتم
يا أخلاى إن قلبى وإن بـــ ... ـان من الشوق عندكم حيث كنتم
فإذا ما أبى الإله اجتماعاً ... فالمنايا على وحدى وعشـتم

● أخذت هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... بموتٍ فكن أنت الذى تتأخـر

فلم يباشر لذةً بعد كتابتها ، حتى رضى عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته .

● المعتز وجارية لابن رجاء :

الزبيرى قال : حدثنى ابن رجاء الكاتب قال : أخذ منى الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبنى فشربا معا فى بعض اليالى فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ، ولم تبرح من المجلس هيبة ، فذكرت ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت

---

(١) المتيم : يقال تامته المرأة أو العشق والحب تيما وتيمه تتيما عبَّدته ودللته ، فهو متيم .
(٢) سلا : نسى .

العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح [1] وهى تقول :

لاكان يوم الفراق يوما ... لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا ... فسر قوما وساء قوما
ياقوم من لى بوجد قلب ... يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيه إلا ... بكيت كيما أُزاد لوما

فلما فرغت من صوتها ، رفع المعتز إليها رأسه والدموع تجرى كالفرند انقطع سلكه ، فسألها عن الخبر وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة ، فردها إلى ، وأحسن إليها ، وألحقنى فى ندمائه وخاصته .

● أبو أحمد وجارية له :

وكان لأبى أحمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت إليه وهو مقيم على العلوى بالبصرة تقول :

لنا عبرات بعدكم تبعث الأسى ... وأنفاس حزن جمة وزفير
ألا ليت شعرى بعدنا هل بكيتم ... فأما بكائى بعدكم فكثير

قال أبو أحمد : فلم يكن لى هم بعدها حتى قفلت من غزاتى ! [2] .

● مروان وجارية له :

وكتب مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر إلى جارية له خلفها بالرملة :

ومازال يدعونى إلى الصد ماأرى ... فأناى [3] ويثنينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزا أن بينى وبينها ... حجابا فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما والله للقلب فاعلمى ... إذا ازددت مثليها فصرت على شهر

---

(1) قريح : جريح ، وفى القرآن : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . (2) قفلت من غزاتى : رجعت من الغزو .
(3) أنأى : أبعد ، وفى القرآن : ﴿ أعرض ونأى بجانبه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

وأعظم من هذين والله أننـي أخاف بأن لا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرة ولا طالبا بالصبر عاقبـة الصبر

● ابن بكار ورجل بالثغر :

الزبير بن بكار قال : رأيت رجلا بالثغر ، وعليه ذلة واستكانة وخضوع ، وكان يكثر التنفس ، ويخفى الشكوى ، وحركات الحب لا تخفى ، فسألته وقد خلوت به فقال وقد تحدر دمعه :

أنا فى أمرى رشـاد بين غـزو وجهـاد
بدنى يغـزو الأعـادى والهوى يغزو فـؤادى
يا عليمـا بالعبـاد رُدَّ إلفى [1] ورقـادى

● وقال أعرابى يصف البين [2] :

أدمت أناملها عضا على البين كما انثنت فرأتنى دامع العين
وودعتنى إيماءً وما نطقت إلا بسبابة منها وعيـنين
وجدى كوجدك بل أضعافه فإذا عنى تواريت قاب الرمح واحينى ! [3]
وإن سمعتِ بموتى فاطلبى بدمى هواك والبين واستعدى على البين [4]

● وقال آخر :

مالت تودعنى والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية : ياليت معرفتى إياك لم تكن !

● وقال آخر :

إذا انفتحت قيود البين عنى وقيل أتيح للنـائى سراح

---

(١) الإلف : الحبيب ، فهو يطلب من الله أن يعيد إليه ما يمنحه هدوء النفس فيستريح وتنام عيناه بعد سهر الليالى يشكو الفراق .
(٢) البين : الفراق .
(٣) إذا غبت عنى مقدار الرمح فقد حان أجلى والحين الهلاك وفى القرآن : ﴿ قاب قوسين ﴾ .
(٤) فإذا مت فأنا شهيد الهوى والبين وعليك أن تستعدى عليهما وتطلبى الثأر منهما .

أبت حلقاته إلا انقفالا ويأبى الله والقدر المتاح
ومن لى بالبقاء وكل يوم لِسَهْم البين فى كبدى جراح

● وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً يبكى لكل غريب لم يذق قبلها فراق حبيب
عزه البين فاستراح إلى الدمـ ـع وفى الدمع راحة للقلوب
ختلته (١) حوادث الدهر حتى أقصدته منها بسهم مصيب
أى يوم أراك فيه كما كنـ ـت قريبا فأشتكى من قريب

● وقال أبو الطيامير :

أقول له يوم ودعته وكل يوم بعبرته مبلس (٢)
لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس

● وقال أبو العتاهية :

أبيت مسهدا قلقا وسادى (٣) أروح بالدموع عن الفؤاد
فراقك كان آخر عهد نومى وأول عهد عينى بالسهاد

فلم أر مثل ما سلبته نفسى وما رجعت به من سوء زاد

● وقال محمد بن يزيد التسترى :

رفعت جانبا إليك من الكلّـ ـة (٤) قابلته طرفا كحيلا
نظرت نظرة الصبابة لا تمـ ـلك للبين دمعها أن يجولا
ثم ولت وقد تغير ذاك الصـ ـبح من خدها فعاد أصيلا (٥)

---

(١) ختلته : خدعته .
(٢) مبلس : البلس محركة : من لا خير عنده . أو عنده إبلاس وشر .
(٣) الوساد : جمع وسادة ، وقلقا وسادهُ : كناية عن السهر والأرق .
(٤) الكِلّة : الستارة ، وكل ما يوضع على السرير فيحجب النوام .
(٥) الأصيل : آخر النهار ، ويقصد أنه تحول من الإشراق إلى الصفرة !

● وقال يزيد بن عثمان :

دمعة كاللؤلؤ الرطـــب على الخد الأسيل
وجفون تنفث الســحر من الطرف الكحيل

إنما يفتضح العاشـــق فى يوم الرحيل

● وقال على بن الجهم :

يا وحشتا للغريب فى البلـد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وماانتفعا
يقول فى نأيه (١) وغربته عدل من الله كل ما صنعا

● وقال آخر :

بانوا (٢) وأضحى الجسم من بعدهم ما تبصر العين له فيّــا
يا أسـفى منهم ومن قولـهم ما ضـرك الفقـد لنا شيا
بــأى وجـــه أتلقاهـــم إن وجدونى بعدهـــم حيــا ؟!

● وقال آخر :

أترحل عن حبيبك ثم تبكى عليه فمن دعاك إلى الفراق ؟

● وقال هدبة العذرى :

ألا ليت الرياح مســخرات بحاجتنا تباكـر أو تئوب (٣)
فتخبرنا الشمـال إذا أتتنـا وتخبر أهلنا عنا الجنـــوب
عسى الكرب الذى أمسـيت فيه يكون وراءه فـرج قـريب
فيأمن خائف ويفك عان (٤) ويأتى أهله النائـى الغريـب

(١) النأى : البعد والفراق .
(٢) بانوا : بعدوا . فيًا : فيئا أى ظلًا وذلك كناية عن النحول .
(٣) تباكر : تأتى فى الصباح الباكر ، وتئوب : تعود ومنه الإياب .
(٤) العانى : الأسير .

● وقال آخر :

لا بارك الله فى الفراق ولا	بارك فى الهجر ما أمرهما
لو ذبح الهجر والفراق كما	يذبح ظبى لما رحمتهما
شربت كأس الفراق مترعةً [1]	فطار عن مقلتى نومهما
يا سيدى والذى أؤمله	ناشدتك الله أن تذوقهما

● وقال حبيب الطائى :

الموت عندى والفرا	ق كلاهما مالا يطاق
يتعاونان على النفوس	فذا الحمام وذا السياق [2]
لو لم يكن هذا كذا	ما قيل موتٌ أو فراق

● وقال آخر :

شتان ماقُبلةُ التلاق [3]	وقُبلة ساعة الفراق
هذى حياة وتلك موت	بينهما راحة العناق

● وقال سعيد بن حميد :

موقف البين مأتم العاشقينا	لاترى العين فيه إلا حزينا
إن فى البين فرحتين : فأما	فرحتى بالوداع للظاعنينا
فاعتناق لمن أُحبُّ وتقبيـ	ـل ولمس بحضرة الكاشحينا
ثم لى فرحة إذا قدم النا	س لتسليمهم على القادمينا

وقال أعرابى :

ليل الشجى على الخلى قصير	وبَلا المحب على المحب يسير [4]
بان الذين أُحبهمُ فتحملوا	وفراق من تهوى عليك عسير

---

(١) مترعة : مليئة .

(٢) الحِمام : بكسر الحاء الموت . والفراق يسوقنا إليه فهو موت معنوى .

(٣) التلاق : التلاقى .

(٤) الشَّجىّ والخَلىّ : الشَّجىّ : المشغول ، والخلىّ : الخالى .

فلأبعثن نياحة لفراقهم ... فيها تُلَطَّم أوجهٌ وصُدور
ولألبسن مدارعا مسودةً ... لبس الثواكل إذ دهاك مبير
ولأذكرنك بعد موتى خاليا ... فى القبر عندى منكر ونكير
ولأطلبنك فى القيامة جاهدا ... بين الخلائق والعباد نشور
فبجنةٍ إن صرت صرت بجنة ... ولئن حواك سعيرها فسعير
والمستهام بكل ذاك جدير ... والذنب يغفر والإله شكور

● ومن قولنا فى البين :

هيج البين دواعى سقمى ... كسا جسمى ثوب الألم
أيها البين أقلنى مرة ... فإذا عدت فقد حل دمى (١)
ياخلى الروع نم فى غبطةٍ ... إن من فارقته لم ينم !
ولقد هاج لقلبى سقما ... ذكر من لوشاء داوى سقمى

● ومن قولنا فى المعنى :

ودعتنى بزفرة واعتناق ... ثم نادت: متى يكون التلاق ؟
وتصدت فأشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب والأطواق (٢)
ياسقيم الجفون من غير سقم ... بين عينيك مصرعُ العشاق
إن يوم الفراق أعظم يوم ... ليتنى مت قبل يوم الفراق

● ومن قولنا فيه :

فررت من اللقاء إلى الفراق ... فحسبى مالقيت وما ألاق
سقانى البين كأس الموت صرفا ... وما ظنى أموت بكف ساق
فيا برد اللقاء إلى فؤادى ... أجرنى اليوم من حر الفراق

---

(١) أقلنى : من عثرتى .. خذ بيدى .. اجمع بينى وبينها .. ولك أن تفعل بى ما تشاء .. لو فارقتها

(٢) الجيوبُ والأطواق : جمع جيب وهو الفتحة فى أعلى الثوب والطوق معروف .

● وقال مجنون بنى عامر :

وإنى لمفن دمع عينى من البكا ... حذاراً لأمر لم يكن وهو كائن
وقالوا : غدا أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى ... بكفى إلا أن ما حان حائن [1]

● وقال أبو هشام الباهلى :

خليلى غدا لا شك فيه مودع ... فو الله ما أدرى غدا كيف أصنع
فواحزنا إن لم أودعه غدوة ... ويا أسفا أن كنت فيمن يودع
فإن لم أودعه غدا مت بعده ... سريعا وإن ودعت فالموت أسرع
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا ... أنا فى غد والله أبكى وأجزع
لقد سخنت عينى وجلت مصيبتى ... سريعا وإن ودعت فالموت أسرع
فيايوم لا أدبرت هل لك محبس ؟ ... وياغدُ لا أقبلت ! هل لك مدفع ؟

● وقال بشار بن برد :

نبت عينى عن التغميض [2] حتى ... كأن جفونها عنها قصارُ
أقول وليلتى تزداد طولا ... أما لليل بعدكم نهار ؟!

● وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له :

غريب فى قرى مصر ... يقاسى الهم والسقما
لليلك كان بالميـــد ... ان أقصر منه بالفرما

● وقال آخر :

وداعك مثل وداع الربيع ... وفقدك مثل افتقاد الديم [3]
عليك سلام فكم من ندى ... فقدناه منك وكم من كرم

---

(١) حان أجله : حل .. وحائن : واقع .

(٢) نبت : بعدت ، فلا يغمض لها جفن وفى الشطر الثانى حسن تعليا أن جفونها عنها قصار ! .

(٣) الدِّيَم : جمع دِيمة السحابة الممطرة .

بين يدى هذا الباب

إن الغرائز المختلفة التي تعلل محاسن المرأة ، تعلل لنا نقائصها التى تعاب عليها من بعض جهاتها ، وقد لخصها المتنبى ولخص ماقيل فى معناها حيث قال :

.... فمن عهدها ألا يدوم لها عهد !

فهى تتقلب ، وتراوغ ، وترائى ، وتكذب وتحزن ، وتميل مع الهوى وتنسى فى لحظة واحدة عشرة السنين الطوال (١) .

تحب المرأة الشباب ، ومن ذا الذى لا يحب الشباب ؟! .

ثم تحب المرأة المال ، ومن ذا الذى يكره المال ؟! .

وهى أبدا بين نقيضين فى أمومتها ، وفى حبها !! .

ولابد من التناقض فى طبع الأنثى ؛ لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التى تتناوبها من عدة جهات ! .

إن الصفة التى وصفت بها المرأة فى القرآن هى الصفة التى خلقت عليها ، أو هى صفتها على طبيعتها التى تحيا بها مع نفسها ومع ذويها .

لقد جاء وصف النساء بالكيد فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم :

مرتين على لسان يوسف عليه السلام .

ومرة على لسان العزيز (فى سورة يوسف) .

١ - ﴿ قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ (٢) .

---

(١) « المرأة فى القرآن » للأستاذ عباس محمود العقاد .
(٢) يوسف : ٣٣ .

٢ - ﴿ وقال الملك ائتونى به ، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم ﴾ (١)

٣ - ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ (٢) .

والكيد صفة مذكورة فى مواضع كثيرة من القرآن بعضها منسوب إلى الإنسان وبعضها منسوب إلى الشيطان .

ومن الرجال الذين نسبت إليهم صالحون مؤمنون ، ومنهم كفرة مفسدون بل وردت وصفا لله تعالى مع المقابلة بين الكيد الإلهى وكيد المخلوقات ، وبغير مقابلة فى الآيات .

ويدخل فى الكيد صفات كثيرة تمدح وتذم ، وتطلب وتمنع ، تشترك كلها فى معانى التدبير والمعالجة والحيلة .

وقد يجمع الحميد والذميم منها قولهم : « الحرب مكيدة » لأنها تدبير ومعالجة وحيلة تتطلبها مواقف القتال .

وقد تذم أحيانا فى هذه المواقف كما تذم فى سواها .

وقد جاء وصف الكيد فى سورة يوسف نفسها منسوبا إلى إخوة يوسف إذ جاء فيها على لسان يعقوب عليه السلام :

﴿ قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾ (٣) .

وجاء منسوبا إلى الله تعالى بمعنى التدبير :

﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ (٤) .

---

(١) يوسف : ٥٠ .
(٢) يوسف : ٢٨ .
(٣) يوسف : ٥ .
(٤) يوسف : ٧٦ .

أما الكيد الذى وصفت به امرأة العزيز وصاحباتها فهو كيد يعهد فى المرأة ولاينسب إلى غيرها ، أو هو كيدهن الذى به يتسمن ويصدر عن خلائقهن وطبائعهن كما يفهم من الإضافة المتكررة فى الآيات الثلاث .

ويدل عليه عمل امرأة العزيز فيما غشت به زوجها واحتالت له من مراودة غلامها عن نفسه ، ثم من اتهامه بمراودتها ، وتنصلها من فعلها ، وكلها أعمال تتلخص فى « الرياء » أو فى إظهار غير ما تبطنه واحتيالها للدس والإخفاء » .

فتعال نتابع مع ابن عبد ربه ما جمعه فى هذا المجال بعد أن عرضنا عليك رأى العقاد فيما يذم من عشرة النساء .

أعلمُ الناس بالنساء !!

لعبدة بن الطبيب :

● قال أبو عمرو بن العلاء :

أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب حيث يقول :

فإن تسألونى بالنساء فإننى
علیم بأدواء [1] النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له فى ودهنَّ نصيب
يردن ثراء المرء حيث علمنه
وشرخ [2] الشباب عندهن عجيب

★ ★ ★

وهذه الأبيات لعلقمة بن عبدة المعروف « بالفحل » .

وأول القصيدة :

« طحا [3] بك قلبٌ فى الحسان طروب »

شر النساء :

● وقيل لأعرابى عالم بالنساء ، صف لنا شر النساء . قال :

---

(١) الأدواء جمع داء ، وهو المرض والعلة ، ومنه الأدواء الاجتماعية والخلقية .

(٢) شرخ الشباب : أوله وريعانه .

(٣) طحابك : رمى بك .

شرهن :

النحيفة الجسم ، القليلة اللحم . .

المحياض الممراض [١] الصفراء . .

المسئومة العسراء .

السليطة الذفراء [٢] .

السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ! .

تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرَب [٣] ، أنف فى السماء ... واست [٤] فى الماء .

إياك وهؤلاء ...

● وفى رواية محمد بن عبد السلام الخشنى قال :

إياك وكل امرأة مذكرة منكرة ، حديدة العرقوب ، بادية الظنبوب [٥] ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ، ليس فى قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ، وإن طلقها كانت حرفته ، وإن أمسكها كانت مصيبته ، سفعاء ورهاء [٦] ، كثيرة الدعاء ، قليلة الإرعاء ، تأكل لما ، وتوسع ذما ، صخوب غضوب ، بذية دنية ، ليس تطفأ نارها ، ولايهدأ إعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، صبيها مهزول ، وبيتها مزبول ، إذا

---

(١) المحياض : كثيرة الحيض . والممراض : كثيرة المرض .

(٢) الذفر : شدة ذكاء الريح كالذَّفَرَة –أو– يخصان برائحة الإبط المنتن وهو المراد .

(٣) الحرَب : بفتح الراء : الهلاك .

(٤) الاست العجز ، أو حلقة الدبر .

(٥) الظُنبوب – كما جاء فى القاموس – حرف الساق من قُدُم أو عظمهُ ، أو حرف عظمه .

(٦) سفعاء تسفعه بنارها . ورهاء : حمقاء .

حدثت تشير بالأصابع ، وتبكى فى المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة على بابها تبكى وهى ظالمة ، وتشهد وهى غائبة ، قد دلى لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور .

خضراء الدِّمن :

● قال النبى ﷺ : « إياكم وخضراء الدِّمن » يريد الجارية الحسناء فى المنبت السوء .

شرك الصياد :

● وفى حكمة داود « المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه » .

النساء ثلاثة :

● روى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب : النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها .

وأخرى وعاء للولد .

وثالثه : غُلّ قَمِلٌ يلقيه الله فى عنق من يشاء من عباده [1] .

ابن قتيبة بين امرأة وزوجها :

ومن الرجال ماساء خلقه !

● نافرت امرأة فضالة زوجها [2] إلى مسلم بن قتيبة ، وهو والى خراسان فقالت : أبغضه والله لخلال فيه . قال : وماهى ؟ قالت :

---

(١) غُلّ قَمِلٌ : قال فى القاموس المحيط : وأصله أنهم كانوا يَغُلُّون الأسير وعليه الشعر فيَقْمَلُ .
(٢) أبدت كراهيتها له وخاصمته لدى الوالى .

قليل الغيرة ، سريع الطيرة ، شديد العتاب ، سريع الحساب ، قد أقبل بخره ، وأدبر ذفره [1] ، وهجمت عيناه ، واضطربت رجلاه ، يُفيق سريعا ، وينطق رجيعا [2] ، يصبح حلساً ويمسى رِجساً ، إن جاع جزع ، وإن شبع جشع .

احذر امرأة سِمعنَّة نِظْرنَّه !

● ومن صفة المرأة السوء يقال لها : « امرأة سمعنة نظرنة » وهى التى إذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئا تظننته تظنيا ! .

قال أعرابى :

إن لنا لكنه سمعنةً نظرنَّه
مِعَنَّة مِفَنَّة كالريح حول القُنَّة
إلّا تَره تَظُنَّه

ولا تنكحن هؤلاء :

● وقال يزيد بن عمر بن هبيرة :

لاتنكحن برشاء [3] ولا عمشاء ، ولا وقصاء [4] ولا لثغاء ، فيجيئك ولد ألثغ ؛ فو الله لولد أعمى أحب إلى من ولد ألثغ ! .

عمر الرجل وعمر المرأة :

● وقال آخر :

عمر الرجل خير من أوله ، يثوب حلمه ، وتثقل حصاته [5] وتحمد سريرته ، وتكمل تجاربه .

---

(١) ظهرت رائحته واشتدت فمن الأمام بخره ومن الخلف نتنه .
(٢) الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه .
(٣) ما كان على جلدها نقط بيض . أو يخالف لونها لون الجلد .
(٤) الوقصاء قصيرة العنق .
(٥) حصاته : عقله ورأيه .

● وآخر عُمر المرأة شر من أوَّله ، يذهب جمالها ، ويذرب (١) لسانها ، وتعقم رحمها ، ويسوء خلقها .

شر النصفين :

● وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت نصفاً (٢) ، فاعلم أن شر النصفين ما بقى فى يده ! وأنشد :

وإن أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيب نصفيها الذى ذهبا !

امرأة الحطيئة :

● وقال الحطيئة فى امرأته :

أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع

أم الحطيئة :

● ويقول لأمه - ولم يسلم من لسانه أحد :

تنحّىْ فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا ؟
حياتك - ما علمت - حياة سوء وموتك قد يَسرُّ الصالحينا

نموذج آخر من الإماء اللاتى ساء خلقهن وأعوذ بالله من شرهن :

● قال زيد بن عمير فى أمته :

أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت أبى الله إلا خزيها فتعود
فإن طمثت قادت ، وإن طهرت زنت فهى أبداً يزنى بها وتقود

---

(١) ذرب اللسان : سلاطته .

(٢) النَّصَف : متوسط العمر ، ويقال : رجل نصَف وجمعه نصفون وأنصاف ، وامرأة نصف وجمعه نُصُف ونصُف وأنصاف .

علامة الحب والبغض :

ويقال : إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها ، فعلامة ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره . وإذا كانت محبةً له لا تقلع عن النظر إليه .

المرأة اللثغاء :

وقال آخر يصف امرأة لثغاء :

أول ما أسمع منها فى السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر [1]
والسوءة السوءاء فى ذكر القمر

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتى ! :

ولآخر فى زوجته :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتى ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا وعذبها فيه نكير ومنكر

عبد الملك وابن زنباع :

إنها كمشجب بالٍ قد أسىء صنعه

● كان روح بن زنباع أثيرا عند عبد الملك ، فقال له يوما :

أرأيت امرأتى العبشمية ؟ قال : نعم . قال : بماذا شبهتها ؟ قال : بمشجب بالٍ قدأسئ صنعه[2]. قال : صدقت ، وما وضعت يدى عليها قط إلا

---

(١) السحر : قبيل انصداع الفجر .

(١) المشجب : خشبات موثقة توضع عليها الثياب وتنشر (الشماعة) .

كأنى وضعتها على الشكاعى . وأنا أحب أن تقول ذلك إلى ابنيها : الوليد ، وسليمان ! فقام إليه فزعا فقبل يده ورجله ، وقال :

أنشدك الله ياأمير المؤمنين ، ألا تعرضنى لهما ! قال : مامن ذلك بُدّ ! .

وبعث من يدعوهما ، فاعتزل روح ، وجلس ناحية من البيت ؛ فقال لهما عبد الملك : أتدريان لم بعثت إليكما ؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقه وحرمته ! ثم سكت .

* * *

ابن زنباع وزوجه :

... غيرة ... وحمق !!

● روى أبو الحسن المدائنى : كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بشير ، وكان شديد الغيرة ، فأشرفت يوما تنظر إلى وفد جذام وقد كانوا عنده ، فزجرها ؛ فقالت : والله إنى لابغض الحلال من جذام فكيف تخاف علىَّ الحرام فيهم ؟! .

وقالت له يوما : عجبا منكِ ! كيف يُسودُك قومك[1]، وفيك ثلاث خلال ؟ .

أنت من جذام . وأنت جبان . وأنت غيور .

فقال لها :

أما جذام : فإنى فى أرومتها [2] ، وحسب الرجل أن يكون فى أرومة قومه .

---

(١) يجعلونك سيدا فيهم .

(٢) الأرومة ، وتضم : الأصل .

وأما الجبن : فإنى مالى إلا نفس واحدة ، فأنا أحوطها ؛ فلو كانت لى غير نفس واحدة جدت بها .

وأما الغَيرة : فأمر لا أريد أن أشارك فيه ، وحقيق [1] بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك ، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه فى حجره [2] ! فقالت :

وهل هند إلا مهرةٌ عربية   سليلة أفراس تجللها [3] بغل
فإن أنجبت مهرا عريقا فبالحرى   وإن يك إقراف [4] فما أنجب الفحل

رجل وامرأة تخطب له :

وثلاث خصالٍ فى الزوج هل تطاق وتحتمل ؟

● وعن الأصمعى قال : قال أبو موسى : جاءت امرأة إلى رجل تدله على امرأة يتزوجها ، فقال :

أقول لها لما أتتني تدلنى   على امرأة موصوفة بجمال
أصبت لها والله زوجاً كما اشتهت   إن احتملت منه ثلاث خصالِ
فمنهن عجز لاينادى وليده   ورقةُ إسلامٍ وقلة مالِ [5]

★ ★ ★

---

(١) جدير ، وأهل .

(٢) تنسبه إليه .

(٣) علاها وواثبها .

(٤) المقرف كمحسن من الفرس وغيره ما يدانى الهجنة . أى أمه عربية لا أبوه لأن الإقراف من قبل الفحل ؛ والهجنة من قبل الأم — القاموس المحيط .

(٥) لا ينادَى وليدُه : جاء فى أساس البلاغة . ومن المجاز : هو فى أمر لا ينادى وليده (كناية عن عجزه) ورقة الإسلام ضعفه ، فهو متهم فى دينه أيضا ، فإذا أضيف إليهما قلة المال فمن يحتمله ؟ .

فى امرأة قبيحة :

وذكر أعرابى امرأة قبيحة فقال :

تُرخى ذيلها على عرقوبى نعامة ، وتسدل خمارها على وجه كالجعالة [1] .

صنف منهن :

وصاحب أعرابى امرأة فقال لها :

والله إنك لمشرفة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل يعجبك الباطل ، إن شبعت بطرت ، وإن جعت صخبت ، وإن رأيت حسنا دفنتيه ، وإن رأيت سيئا أذعتيه ، تكرمين من حقرك ، وتحقرين من أكرمك .

حمدونة بنت المهدى

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدى ، فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ، كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها دبة [2] ، وكأن استها رقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عفريته يقاتل ديكا [3] .

* * *

---

(١) الجعالة : الخرقة التى تنزل بها القدر عن النار ، والجُعَل الرجل الأسود الدّميم ، ودويبة كالخنفساء .

(٢) الدَّبة : واحدة الدب ، وهو القرع ، والدُّبَّاءُ القرع أيضا كالدُّبة .

(٣) عِفْرِيَةُ الديك : ريش عنقه .

بكر حواء !!

● وهجا أعرابى امرأته فقال :

يابكر حواء [1] من الأولاد ... وأم آلاف من العباد
عمركِ ممدود إلى التناد ... فحدثينا بحديث عاد
والعهد من فرعون ذى الأوتاد ... يا أقدم العالم فى الميلاد
إنى من شخصك فى جهاد

خطبها شابة طرية ودسوا إليه عجوزاً !

● وقال أعرابى فى امرأة تزوجها وقد خطبها شابة طرية ودسوا إليه عجوزاً :

عجوزٍ ترجى أن تكون فتية ... وقد نحل الجنبان واحدودب الظهر
تدسّ إلى العطار سلعة أهلها ... وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر ؟
تزوجتها قبل المحاق [2] بليلة ... فكان محاقا كله ذلك الشهر
ما غرنى إلا خضاب بكفها ... وكحل بعينيها وأثوابها الصفر

● وقال فيها :

نموذج كريه !

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينها ... فإن عالجته صار فوق المحاجرِ

---

(١) فهى معمرة بلغت من الكبر عتيا فهى كما قال : أقدم العالم فى الميلاد .

(٢) انمحق الهلال لثلاث ليال فى آخر الشهر لا يكاد يُرَى لخفائه والاسم : المحاق بالضم. والكسر لغة .

وفى حاجبيها حزة كغرارة [١] فإن حلقا كانا ثلاث غرائر
وثديان : أما واحد فهو مزود [٢] وآخر فيـه قربـة للمسافـر

● وقال فيها :

يتعوذ الشيطان منها !

لها جسم برغوثٍ وساقا بعوضةٍ ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عيناها إذا ما رأيتها وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها مضحك كالحش [٣] تحسب أنها إذا ضحكت فى أوجه القوم تسلحُ
وتفتح - لا كانت - فماً لو رأيته توهمتـه بابا من النار يفتـح
إذا عاين الشيـطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسى ويُصبح

● وقال أعرابى فى سوداء :

كأنها والكحل فى مرودها تكحل عينها ببعض جلدهـا

● وقال فيها :

أشبهك المسكُ وأشبهتـه قائمةً فى لونهـا قاعـدة
لا شك إذ لونكما واحـدٌ أنكما من طينـة واحـدة

★ ★ ★

---

(١) الغرارة : الجوالق . « الجوال » .
(٢) المزود : وعاء يحمل فيه الزاد .
(٣) الحش : (مثلثة) المخرّج ؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين .

في مكر النساء وكيدهن

الغساني والكندي وهند :

جاهل مغرور من غره النساء بودّ !

● وقال الهيثم بن عدى : غزا الغسانى الحارث بن عمرو آكل المرار الكندى ، فلم يصبه فى منزله ، فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأته ، فلما أصابها أعجبت به ، فقالت له : انج ، فو الله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاغرا فاه ، كأنه بعير آكل مُرار ! وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟ .

قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط ! .

فأمر بها فأوقفت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطعت ثم قال :

كل أنثى وإنْ بدا لك منها آيةُ الودِّ حبُّها خيثعُورُ (١)
إن من غره النساء بــوُدٍّ بعد هنـدٍ لجاهلٌ مغـرور

أقوال فى مكر النساء وكيدهن :

● وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثر .

● وقالوا : النساء حبائل الشياطن ! .

---

(١) امرأة خيثعور : لا يدوم ودها .

ليس لمخضوب البنان يمين !

● قال الشاعر :

تمتع بها ماساعفتك ولا تكن جزوعاً إذا بانت فسوف تبينُ [1]
وصنها وإن كانت تفى لك ، إنها على مدد الأيام سوف تخون
وإن هى أعطتك الليان فإنها لآخر من طلابها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين [2]
وإن أسبلت يوم الفراق دموعها فليس لعمرُ الله - ذاك يقين

★ ★ ★

● وقالت الحكماء : لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته !

★ ★ ★

● وقال طفيل الغنوى :

إن النساء متى ينهين عن خلقٍ فإنه واقع لابد مفعولُ

فاحبسه عن بيتها ياحابس الفيل

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

أرسل عبد الله بن همام السلولى شابا إلى امرأة ليخطبها عليه . فقالت له : فما يمنعك أنت ؟ فقال لها : ولى طمع فيك ! .

---

(١) البين البعد والفراق ، ومصير المجتمعين يفترقان ويبينان .

(٢) مخضوب البنان : كناية عن المرأة ؛ هى التى تخضب أصابعها بالخضاب والحناء .

قالت : ماعنك رغبةٌ [1] ! فتزوجها ثم انصرف إلى ابن همام ، فقال له : ما صنعت ؟ قال : والله ماتزوجتنى إلا بعد شرط ! .

قال : أو لهذا بعثتك ؟ .. ثم قال فى ذلك :

رأت غلاما على شرط الطلابة لا … يعيا بإرقاص بردى الخلاخيل [2]
مبطناً بدخيس اللحم تحسبه … مما يصور فى تلك التماثيـــل
أكفا من الكفء فى عقد النكاح وما … يعيابه حلَّ هميان السراويل [3]
تركتها والأيامى غير واحدةٍ … فاحبسه عن بيتها يا حابس الفيل

* * *

السلولى وامرأة خطبها :

ياليتنى المجعول فى النار !

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

كان النساء يجلسن لخطابهن ، فكانت امرأة من بنى سلول تخطب ، وكان عبد الله ابن همام السلولى يخطبها ؛ فإذا دخل عليها تقول له : فداك أبى وأمى ! وتقبل عليه تحدثه .

● وكان شاب من بنى سلول يخطبها ، فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن همام قالت للشباب : قم إلى النار ! .

وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ، ثم إن الشاب تزوجها ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن همام قال :

---

(١) رغب فيه ، أراده ، ورغب عنه كرهه ، وقد قالت له : ما عنك رغبة : أى لست منصرفة عنك إلى غيرك وإنى لراغبة فيك .

(٢) قادر على المعاشرة الجنسية هى كناية جميلة ، وقريب منه : رقصت على قدميه .

(٣) السراويل : ما يلبس أسفل الجسم . والجمهور على أنها أعجمية وقيل عربية .

أودى بحب سُليمى فاتك لقِن [1] كحية برزت من بين أحجـــار
إذا رأتنى تفدينى وتجعـــله فى النار ، ياليتنى المجعـول فى النار

* * *

ماذا تظن سليمى ؟!

● وله فيها :

ماذا تظن سليمى إن ألم بها مرجل الرأس ذو بردين مزاح
حلوٌ فكاهتــه ، خز [2] عمامته فى كفه من رقى الشيطان مفتاح

* * *

● وفى حكمة داود :

وجدت من الرجال واحدا فى ألف ! .

ولم أجد واحدة فى النساء جميعا ! .

الشيب والنساء

الغانيات والشيب :

● قال محمود الوراق :

لاتطلبـن أثـرا بعين فالشيب إحدى الميتتين
أبدى مقابح كل شين ومحا محاســن كل زين

---

(1) لَقِنٌ كفَرِح : السريع الفهم .
(2) الخز : الحرير ، وما نسج من صوف وحرير . كناية عن الترف والغنى .

فإذا رأيت الغانيـــات — رأين منك غراب بين (١)
ولربما نافسن فيـــــ — ـك وكن طوعا لليدين
أيام عممك الشـــباب — وأنت سهل العارضين (٢)
حتى إذا نزل المشيـــ — ـب وصرت بين عمامتين
سوداء حالكة وبيـــ — ـضاء المناشر كاللحين (٣)
مزج الصدود وصـــا — لهن فكن أمراً بين بين (٤)
وصبرن ما صبر السوا — د على مصانعةٍ ودين
حتى إذا شمل المشيـــ — ـب فحاز قطر الحاجبين
قفَّين شر قفيـــــة — وأخذن منك الأطيبـــين
فاقن الحياء وسل نفـــ — ـسك أو فناد الفرقدين
ولئن أصابتك الخطـــو — ب بكل مكروه وشـــين
فلقد أمنت بأن يصيـــ — ـبك ناظر أبدا بعـــين

● وقال حبيب الطائى :

نظرت إلى بعين من لـم يعدل — لما تمكن حبها من مقلتى
لما رأت وضح المشيب بلمَّتى — صدت صدود مجانب متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطفٍ — والشيب يغمزها بألا تفعلى

● وقال آخر :

صدت أمامةُ لما جئت زائرها — عنى بمطروفة إنسانها (٥) غرق
وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها: — كذاك يصفر بعد الخضرة الورق !

---

(١) البين : الفراق ، وغراب البين يندر بفراق عندما ينعق .
(٢) العارض : صفحة الخد ، وسهولة الخد رمز الشباب ، فلم تحل به بعد تجاعيد الشيخوخة
(٣) اللحين : الفضة .
(٤) بين إقبال وتمنع .
(٥) إنسان العين : حدقتها

● وقال محمد بن أمية :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى — فأعرضن عنى بالخدود النواضر
وكن إذا أبصرننى أو سمعن بى — دنون فرقعن الكوى بالمحاجر

● وقال العلوى :

عيرتنى بشيب رأسى نَوَارُ — يابنة العم ، ليس فى الشيب عار
إنما العار فى الفرار من الزحـــ — ـــف إذا قيل : أين أين الفرار ؟!

● وقال آخر :

ماذا تريدين من جهلى وقد غبرت[1]
سنوُّ شبابى وهذا الشيب قد وخطا
أرقع الشعرة البيضاء ملتقطا
فيصبح الشيب للسوداء ملتقطا
وسوف لا شك يعيينى فأتركه
فطالما أُعملُ المقراض والمشطا

أبو دلف والمأمون :

● دخل أبو دلف على المأمون ، وعنده جارية له ، وقد ترك الخضاب أبو دلف ، فغمز المأمون الجارية ، فقالت له : شبت أبا دلف ، إنا لله وإنا إليه راجعون لا عليك ! .

فسكت أبو دلف ، فقال له المأمون : أجبها أبا دلف ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال :

تهزأت أن رأت شيبى فقلت لها : — لاتهزئى من يَطُلْ عمُره يَشِبِ
شيب الرجال لهم زين ومكرمة — وشيبكن لكن الويل فاكتئبى
فينا لكن – وإن شيب بدا – أربٌ — وليس فيكن بعد الشيب من أرب[2]

(١) غبرت : مرت ومضت

(٢) أرب : رغبة وحاجة .

الباب السادس

أبغض الحلال إلى الله

(الطلاق)

بين يدى هذا الباب للمحقق

بنى الطلاق ، كما بنى الزواج ، فى المجتمعات الأولى على عادات الفطرة :

الذكر يطلب الأنثى ولا تطلبه .

والرجل يخطب المرأة ولا تخطبه .

وعلى هذه العادة الفطرية درج نظام الطلاق مع الزواج باختيار الرجل وحده ، وجرى القانون على ماجرى به العرف بعد قيام القوانين بعد المرحلة البدائية من مراحل الاجتماع (١) .

وشريعة القرآن الكريم فى مسألة الطلاق شريعة دنيا ودين تنظر إلى طبائع الرجال والنساء . .

فالطلاق فى الإسلام قسوة مكروهة ؛ لأنه أبغض الحلال إلى الله كما قال النبى ﷺ .

ولم تخل آية عرضت للطلاق من توكيد الأمر بالمعروف والنهى عن الإساءة والإيذاء والحث على مغالبة الشح والتقتير .

وما من وسيلة تنجح فى اجتناب الفرقة بين الزوجين إلا ونصح بها القرآن الكريم لكل منهما فيما يطلب من الرجل أو يطلب من المرأة ، وترجى منه الفائدة فى الواقع .

فإذا نفدت حيلة المراجعة ، وانتظار المهلة ، وبطلت مساعى الصلح بين الأهل والأقارب وأسفرت تجربة الطلقة الراجعة مرة بعد مرة عن قلة اكتراث للجفاء وإصرار على الفراق فليس فى الزواج إذن بقية تحمى من الطلاق .

---

(١) عباس محمود العقاد فى كتابه « المرأة فى القرآن » .

ولعل الطلاق يومئذ أرحم بالمرأة من علاقة منغصة تربطها برجل يجفوها ، ويبخل عليها بقوتها ويتمنى لها الموت ليبتعد عنها ، إذ كانت عشرتها غلا فى عنقه لا يفصمه غير الموت .

ولا إيذاء فى هذا الطلاق للزوج ولا للزوجة ولا للمجتمع إذ لا بقاء إذن لشيء يصح أن يسمى بالزواج .

وإليك ما قدمه ابن عبد ربه :

الرشيد والأصمعى

ملح الأصمعى وغرائبه :

وأنت أيضا طالق إن أجاز زوجك !!

● محمد بن الغار قال : حدثنى عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الأصمعى قال : سمعت عمي يقول : توصلت بالملَح ، وأدركت بالغريب .

● وقال عمي للرشيد فى بعض حديثه :

بلغنى يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق فى يوم خمس نسوة ! .

قال : إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة ، فكيف طلق خمسا ؟ .

قال : كان لرجل أربع نسوة ، فدخل عليهن يوما ، فوجدهن متلاحيات متنازعات ، – وكان شنطيرا [١] – فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ .

ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك – يقول ذلك لامرأة منهن – اذهبى فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها :

عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكان حقيقا ! .

فقال لها : وأنت أيضا طالق .

---

(١) الشنطير السيء الخلق الفحاش .

فقالت له الثالثة :

قبحك الله ! فو الله لقد كانتا إليك محسنتين ، وعليك مفضلتين !

فقال : وأنت أيتها المعددة أياديَهما طالق أيضا ! .

فقالت له الرابعة : وكانت هلالية وفيها أناة شديدة :

ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ! .

فقال لها : وأنت طالق أيضا ! .

وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ، فقالت :

والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نسائك فى ساعة واحدة ! .

قال : وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ، إن أجاز زوجك ، فأجابه من داخل بيته : قد أجزت ! قد أجزت ! .

★ ★ ★

المغيرة وزوجته فارعة

كُنْتِ فَبِنْتِ !!

● ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهى تتخلل حين انفلت من صلاة الغداة ، فقال لها : لئن كنت تتخللين من طعامك اليوم إنك لجشعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لشبعة ، كنت فبنت ! .

فقالت : والله ما اغتبطنا [1] إذ كنا ، ولا أسفنا إذ بنا [2] ، وما هو لشيء مما ذكرت ، ولكنى استكت فتخللت لسواك ، فخرج المغيرة نادما على ما كان منه ، فلقيه يوسف بن أبى عقيل فقال له :

إنى نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها ، فإنها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج .

الحسن وعائشة بنت طلحة

رد الجميل :

● وقال الحسن بن على بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك ! فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك ، فأحسنت حفظه ، فلم أضيعه إذ صار بيدى ساعة واحدة ، وقد صرفته إليك ! فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

لرجل فى طلاق امرأته

إلى غير رجعة ! :

● وقال أبو عبيدة : طلق رجل امرأته وقال :

لقد طلقت أخت بنى غلاب ... طلاقا ما أظن له ارتداداً

---

(١) ما اعتبطنا : ما سررنا بزواجنا منك

(٢) بنا : ولا حزنا إذ كان الفراق ! .

ولم أك كالمعدل أو أويس إذا ما طلقا ندما فعادا (١)

فارقها قبل أن تفرق شمله :

● ونكح رجل امرأة من عدى فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع ، وشمل عياله أجمل شمل ، فقالت :

أما والله لئن بقيت لهم ، لأشتتن أمرهم ، وقالت :

فى ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرينا وأترك أهلها شتى عزينا

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها وقال فى ذلك :

ألا قالت هدى بنى عدى أرى ناراً سأجعلها إرينا(٢)
فبينى قبل أن تلحى عصانا ويصبح أهلنا شتى عزينا

قمة الكراهية !

● وقيل لابن عباس :

ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء ؟ .

قال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء ! (٣) .

لا أمل فيه ! .

● وقيل لأعرابى : هل لك فى النكاح ؟ .

قال : لو قدرت أن أطلق نفسى لطلقتها !! .

---

(١) قال أبو عبيدة : طلاق المعدل وأويس يضرب به المثل . (٢) نيراناً .
(٣) الجوزاء برج فى السماء .

هكذا تكون الإخوان !

● وعن الزهرى قال :

قال أبو الدرداء لامرأته : إذا رأيتني غضبت فترضيني ، وإن رأيتك غضبت ترضيتك ، وإلا لم نصطحب ! .

قال الزهرى : وهكذا تكون الإخوان ! .

بانت فلم يألم لها قلبى !!

● قال الأصمعى :

كنت أختلف إلى أعرابى أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ائذنى له . فتقول : ادخل .

فاستأذنت عليه مرارا فلم أسمعه يذكر أمامة ، فقلت : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة ، قال : فوجم وجمة ، فندمت على ماكان منى ، ثم أنشأ يقول :

ظعنت أمامة بالطلاق ... ونجوت من غل الوثاق
بانت فلم يألم لها ... قلبى ، ولم تبك المآق
لو لم يرح بطلاقها ... لأرحت نفسى بالإباق [1]
ودواء مالا تشتهيـــ ... ـه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب من ... إلفين من غير اتفاق

ألذ من ليلة العرس !

● وعن الشيبانى : طلق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تجهزى للطلاق وارتحلى ... فذا دواء المجانب الشرس

---

(١) الإباق : الهرب .

ما أنت بالحنة الولود ولا عندك نفع يُرجى لملتمس
لليلتى حين بنت طالقةً ألذ عندى من ليلة العرس
بت لديها بشر منزلةٍ لا أنا فى لذةٍ ولا أنس
تلك على الخسف لانظير لها وإننى ما يسوغُ لى نفسى[1]

ابن زَبَّان والزُّبير :

تلك راضية بموضعها

● أقبل منظور بن زبان بن سيار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوجناك ولم نزوج عبد الله ! .

قال : ماله ؟ قال : إنها تشكوه . قال : ياعبد الله طلقها ! .

قال عبد الله : هى طالق ! قال ابن منظور : أنا ابن قهرم .

قال الزبير : أنا ابن صفية . أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ .

قال : لا . تلك راضية بموضعها .

خديجة بين محمد وإبراهيم :

محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها !

● وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت عروة بن الزبير ، فذكر له جمالها – وكان يقال له : المذهب من حسنه وكان رجلا مطلاقا – فقالت : محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها ! فلما طلقها خطبها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ؛ فكتب إليها :

---

(١) الخسف : الذل .

أعيذك بالرحمن من عيش شقوةٍ وأن تطمعى يوما إلى غير مطمع
إذا ما ابن مظعون تحدَّر وسقه عليك فبوئى بعد ذلك أو دعى [1]

الحجاج وزواجه بابنة جعفر :

وصلتك رَحِمٌ

● وعن العتبى عن أبيه قال : أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل ، دق عليه الباب ؛ فأذن له عبد الملك ، ودخل عليه ، فقال له : ماهذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمرٌ والله لم ينتظر له الصبح ، هل علمت أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبى سفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإنى تزوجت إليهم ، فما فى الأرض قبيلة من قريش أحبُّ إلى منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج إلى بنى هاشم ، وقد علمت مايقال فيهم فى آخر الزمان ؟ قال : وصَلَتْكَ رَحِمٌ .

● وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ، وألا يراجعه فى ذلك ، فطلقها ، فأتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ، فجعل الحجاج يقع بخالد ويتنقصه ويقول : إنه صير الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلا ! .

فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدرك من قبله ، وأتعب من بعده وعلم علما فسلم الأمر إلى أهله ، ولو طلب بقديم لم يغلب عليه ، أو بحديث لم يسبق إليه .

فلما سمعه الحجاج استحى ، فقال : يابن عتبة ، إنَّا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ونستعطفكم بأن ننال منكم ؛ وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ، فتعرضنا للذين تحبون .

---

(١) بوئى : عودى .

من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه

بين العريان وبنت عمران :

إن الغزال الذى ضيعت مشغول

● الهيثم بن عدى قال : كانت تحت العريان بن الأسود بنت عم له ، فطلقها فتبعتها نفسه ؛ فكتب إليها يُعرض لها بالرجوع فكتبت إليه :

إن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلاً إن الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب إليها :

من كان ذا شُغُلٍ فالله يكلؤه وقد لهونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرافه طرفاً وفى الليالى وفى أيامها طول !!

الوليد وزوجته سُعدى :

ماكنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى !

● وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه ، وندم على ماكان منه ؛ فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك منى خمسة آلاف درهم ! فقال : عجلها ، فأمر له بها ، فلما قبضها قال : هات رسالتك .

فأنشده :

أُسعدى ما إليك لنا سـبيل ولا حتى القيامـة من تلاقِ ؟!
بلى ، ولعل دهراً أن يؤاتى بموت من حليلك أو فراق !!

فأتاها فاستأذن ، فدخل عليها ، فقالت له : ما بدالك فى زيارتنا ياأشعب ؟ .

فقال : ياسيدتى ، أرسلنى إليك الوليد برسالة . وأنشدها الشعر ، فقالت لجواريها : خذن هذا الخبيث ! .

فقال : ياسيدتى ، إنه جعل لى خمسة آلاف درهم ! .

قالت : والله لأعاقبنك أو لتبلغن إليه ما أقول لك .

قال : سيدتى اجعلى لى شيئا .

قالت : لك بساطى هذا .

قال : قومى عنه ! فقامت عنه ، وألقاه على ظهره ، وقال : هاتى رسالتك ، فقالت :

أنشده :

أتبكى على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فماأنت صانع ؟

فلما بلغه وأنشده الشعر ، سقط فى يده ، وأخذته كظمة ، ثم سرى عنه .

فقال : اختر واحدة من ثلاث :

إما أن نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيك إلى هذه السباع ! فتحير أشعب وأطرق حينا ؛ ثم رفع رأسه فقال : ياسيدى ، ماكنت لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدى ! فتبسم وخلى سبيله .

ابن أبى بكر وامرأته

فى غير شىء تطلق !

● وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه ، عبد الرحمن بن أبى بكر : أمره أبوه بطلاقها ، ثم دخل عليه فسمعه يتمثل :

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولم أر مثلها فى غير شىء تطلق

فأمره بمراجعتها .

الفرزدق ونوار :

وكانت جنتى فخرجت منها !

● وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه ، الفرزدق الشاعر : طلق النَّوار ، ثم ندم فى طلاقها وقال :

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها كآدمَ حين أخرجه الضرار
فأصبحت الغداة ألوم نفسى بأمر لَيس لى فيه خيار

من أخبار النوار :

● وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضيته ، وكان وليها غائبا ، وكان الفرزدق وليها إلا أنه كان أبعد من الغائب ؛ فجعلت أمرها إلى الفرزدق ، وأشهدت له بالتفويض إليه ، فلما توثق منها بالشهود ، أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه ! فأبت منه ، ونافرته إلى عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله [ابن الزبير] ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى بنت منظور بن زبان ، فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة ليلاً ، حتى غلبت المرأة ، وقضى ابن الزبير على الفرزدق ، فقال :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشُفِّعَتْ بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

● وقال الفرزدق فى مجلس ابن الزبير :

وما خاصم الأقوام من ذى خصومة كورهاء مدنوٍّ إليها خليلها (١)
فدونكهـا يابـن الـزبير فإنها ملعنة يوهى الحجارة قيلها (٢)

---

(١) الورهاء : الخرقاء .
(٢) قولها يفلق الحجر ويضعفه.

فقال ابن الزبير :

إن هذا شاعر ، وسيهجونى ، فإن شئت ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك ؛ فاختارى نكاحه ، وقَرِّى . فقرت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زمانا ، ثم طلقها ، وندم فى طلاقها .

* * *

إن فى نَفسى من النوار شيئا !

● وعن الأصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخروم عن راوية الفرزدق قال : قال لى الفرردق يوما :

امض بنا إلى حلقة الحسن فإنى أريد أن أطلق النوار ! فقلت له : إنى أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال : انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال الفرزدق : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمنَّ أنى طلقت النوار ثلاثا ! قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، فانطلقنا ، فقال لى الفرزدق : ياهذا ، إن فى نفس من النوار شيئا ! فقلت : حذرتك ! فقال :

ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرارُ
ولو أنى ملكت بها يمينى ... لكان على للقدر الخيار

قيس بن ذريح وطلاق امرأته :

فأصبحت الغداة ألوم نفسى !

● وممن طلق امرأته وتبعتها نفسه ، قيس بن الذريح ، وكان أبوه أمر بطلاقها فطلقها وندم ، فقال فى ذلك :

فوا كبدى علىٰ تسريح لبنى فكان فراقُ لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فأزعجونى فيا لَلنّاس للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه تبين غبنه بعد البياع

أبعد صحبة خمسين سنة ؟!

● وطلق رجل امرأته فقالت : أبعد صحبة خمسين سنة ؟! .

فقال : مالك عندنا ذنب غيره !! .

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها

ابن أم الحكم بين رجل وامرأته :

● العتبى قال : جاء رجل بامرأة كأنها برج فضة ، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شجتنى ! فقال لها : أنت فعلت به ؟ .

قالت : نعم ، غير متعمدة لذلك ؛ كنت أعالج طيباً ، فوقع الفهر من يدى على رأسه ، وليس عندى عقل ، ولا تقوى يدى على القصاص ! .

فقال عبد الرحمن للرجل : ياهذا علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقتها أربعة آلاف درهم ، ولا تطيب نفسى بفراقها ! .

قال : فإن أعطيتها لك أتفارقها ؟ قال : نعم . قال : فهى لك . قال : هى طالق إذاً ! فقال عبد الرحمن : احبسى علينا نفسك . ثم أنشأ يقول :

ياشيخ ويحك من دلّاك بالغزل قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها فاعمد لنفسك نحو الجلة الذُلُل (١)

(١) الجلة : الأجلاء ، الذُلل المتواضعين . اسلك بنفسك مع هؤلاء فلا شأن لك بالغزل .

فى النوادب والتعازى والمراثى

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

... ونحن قائلون بعون الله فى النوادب والمراثى ، والتعازى بأبلغ ماوجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التى ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب :

فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك صدعا فى القلوب الجلامد ! .

ونادبة تخفض من نشيجها ، وتقصد فى نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب ! .

● قال عمرو بن ذر : سألت أبى ، ما بال الناس إذا وعظتهم بكوا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ .

● قال : يا بنى ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة ! .

● وقال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما بال المراثى أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها ، وقلوبنا محترقة .

● وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء ! .

● وقالوا : كل شىء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر ! .

البكاء على الميت

لإبراهيم :

● الشعبى عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

فلئن بكيناه لحق لنا ولئن تركنا ذاك للصبر
فلمثله جرت العيون دماً ولمثله جمدت فلم تجر

الأحنف وباكية !

● مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ، ورجل ينهاها ، فقال له : دعها ، فإنها تندب عهدا قريبا ، وسفراً بعيداً .

النبي وباكيات من الأنصار

● ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي ﷺ : « لكن حمزة لا باكية له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة ! .

وقال النبي ﷺ : « لولا أن يشق على صفية مادفنته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع » .

القول عند الموت

الرسول ﷺ فى قبضه :

● حماد بن سلمة عن ثابت بن مالك قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله ﷺ ، فتواكدت [1] عليه كرب الموت ، فرفع رأسه وقال : واكرباه ! .

فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك ياأبتاه ! قال : لا كربَ على أبيك بعد اليوم ! .

فاطمة رضى الله عنها – مع أبيها عند قبضه

● الرياشي عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن

---

(١) تواكدت : اشتدت

المنهال بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : مارأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثا وكلاما برسول الله ﷺ من فاطمة .

وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ، ورحب بها وأجلسها فى مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ، ورحبت به ، وأخذت بيده فقبلتها . فدخلت عليه فى مرضه الذى توفى فيه ، فأسر إليها فبكت ، ثم أسر إليها فضحكت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هى واحدة منهن ، بينما هى تبكى إذ هى تضحك ! .

فلما توفى الرسول ﷺ سألتها ؛ فقالت : أَسرَّ إلى فأخبرنى أنه ميت ؛ فبكيت !؛ ثم أَسَرَّ إلىَّ أنى أول أهل بيته لحوقا به فضحكت ! .

عائشة – رضى الله عنها – مع أبيها فى احتضاره

● القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – أنها دخلت على أبيها فى مرضه الذى مات فيه ، فقالت له : ياأبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك فى عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك محضور (١) ، ومتصل بقلبى لوعتك ، وأرى تخادل أطرافك ، وانتقاع لونك (٢) ؛ فإلى الله تعزيتى عنك ، ولديه ثواب حزنى عليك ، أرقأ فلا أُرْقأ (٣) ، وأشكو فلا أُشْكى (٤) .

فرفع رأسه فقال : يابنية ، هذا يوم يحل فيه عن غطائى ، وأعاين جزائى ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فمقيم .

---

(١) أى حضرته الوفاة

(٢) انتُقِعَ لونه . تعير واختطف لأمر أصابه كالحزن والفزع (لغة فى امتُقِعَ) .

(٣) أحاول تجفيف دمعى فلا يجف ولا يسكن .

(٤) عندما أشكو لا يزيل أحد شكواى بعد فقدك

إنى اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حيث كان النكوص [1] إضاعة ، والحذر تفريطاً ؛ فشهيدى الله ماكان بقلبى إلا إياه ؛ فتبلغت بصحفتهم [2] ، وتعللت بدرة لقحتهم [3] ، وأقمت صلاى معهم ، لا مختالا أشراً ، ولا مكابرا بطراً ، لم أعد سداً لجوعة ، وتوريةً لعورة ، طوى مُمغص تهفو له الأحشاء ، وتجب له الأمعاء ؛ واضطررت إلى ذلك اضطرار الجرض إلى المعيف الآجن [4] ، فإذا أنا مت فردى إليهم صحفتهم ، ولقحتهم ، وعبدهم ، ورحالهم ، ودثارة [5] ما فوق اتقيت بها أذى البرد ، ودثارة ما تحتى اتقيت بها أذى الأرض . كان حشوهما قطع السعف .

عمر وعائشة رضى الله عنهما مع أبى بكر فى احتضاره

● ودخل عليه عمر فقال : ياخليفة رسول الله ﷺ ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيهات من شق غُبارَك [6] ! وكَيف باللحاق بك ؟! .

وقالت عائشة وأبوها يُغمضُ :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى ، عصمةُ للأرامل

فنظر إليها وقال :

ذلك رسول الله ﷺ . ثم أغمى عليه ، فقالت :

لعمرك ما يغُنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

---

(١) تحملت مسئوليتهم وقتا كان التراجع عن تحمل المسئولية إضاعة للمسلمين .

(٢) تبلغت بصحفتهم : شاركتهم طعامهم ، والبلغة ما يتبلغ به من العيش .

(٣) شاركتهم شربهم مرة بعد أخرى . واللقحة : الناقة الحامل .

(٤) الجَرِض : من جف ريقه ويَغَصُّ به وفى هذه الحالة يرضى بما تعافه النفس من الماء الآجن الذى تغير طعمه ولونه .

(٥) الدثارة : ما يتدثر به الإنسان ويتغطى .

(٦) شق غباره : لحق به وهيهات ذلك .. وبعد على كل من يحاول ومثله قول عمر رضى الله عنه فى أبى بكر بعد أن تولى الخلافة عقبه : لقد أجهد من يأتى بعده .

قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لى :

﴿ وجاءت سَكرةُ الموتِ بالحقِّ ذلك ما كنت مِنْه تَحِيد ﴾ (١) .

ثم قال : انظروا مُلَاءَتَيَّ فاغسلوهما ، وكفنونى فيهما ؛ فإن الحىَّ أحوج إلى الجديد من الميت ! .

لمعاوية فى النساء

● وقال معاوية ، – وذكر عنده النساء – :

ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى مثلهن .

الوقوف على القبور والقول عند الموت

● لفاطمة على قبر أبيها :

وقفت فاطمة – رضى الله عنها – على قبر أبيها ﷺ فقالت :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها (١) وغاب مُذْغبت عنا الوحى والكتب

فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نعيت وحالت دونك الكثب (٢)

● حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن رسول الله ﷺ أقبلت على فاطمة فقالت : ياأنس ، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله ﷺ التراب ؟ .

ثم بكت ، ونادت : ياأبتاه ! أجاب رباً دعاه ؛ ياأبتاه ! مِنْ ربِّه ما أدناه ؛

(١) ق : ١٩ .

(٢) الوابل : المطر ، وهو حياة الأرض ، وما أشد شوقها إليه حين ينقطع عنها ! .

(٣) الكثب : جمع كثيب ، وهو الكومة من الرمال .. فعندما ندفن يحال بيننا وبين أهلينا وذوينا .

يأبتاه ! من رَبُّهُ ناداه ، يأأبتاه ! إلى جبريل ننعاه ؛ يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه .

قال : ثم سكتت فما زادت شيئا [1] .

عائشة – رضى الله عنها – على قبر أبى بكر

● ووقفت عائشة على قبر أبى بكر فقالت : نضر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ؛ فقد كنت للدنيا مذلًّا بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها .

ولئن كان أجَلَّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك [2] .

وأعظم المصائب بعده فقدك – إن كتاب الله لَيعِدُ بحسن الصبر فيك ، وحسن العوض منك ، فأنا أتنجزُ [3] موعود الله ، وأستعيض منك بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله ، توديع غير قالية [4] لحياتك ، ولازارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

لعلى فى فاطمة

● المدائنى قال : لما دفن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ ... وكلُّ الذى دون الممات قليلُ
وإن افتقادى واحدًا بعد واحدٍ ... دليل على ألا يدوم خليلُ

---

(١) ولا عجب ؛ فقد تربت فى بيت النبوة ، وعرفت ما يقال ، وما لا يقال ! .

(٢) الرُّزء : الفقد والمصيبة .

(٣) لقد بشر الله الصابرين ، وقد صبرت ؛ ولذا أطمع فى إنجاز الوعد .

(٤) القالى : الكاره ، وفى القرآن : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ، فهى تودعه وداع من كان يحب حياته ، ومع هذا فهى راضية بقضاء الله غير زارية على القضاء ! وهذا هو الصبر والإيمان بقضاء الله !؛ أليست أم المؤمنين ، والأسوة الحسنة ؟! .

امرأة الحسن على قبره

● لما مات الحسن بن على عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطا [١] على قبره ، وأقامت حَوْلاً ، ثم انصرفت إلى بيتها ، فسمعت قائلا يقول :

أدركوا ما طلبوا .

فأجابه مجيب : بل ملّوا فانصرفوا .

نائلة على قبر عثمان

● ابن الكلبى قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحمت عليه ثم قالت :

ومالى لا أبكى وتبكى صحابتى ... وقد ذهبت عنا فضول أبى عمرو

ثم انصرفتْ إلى منزلها ، فقالت :

إنى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوبُ ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى ! ، فدعت بفهر [٢] فهشمت فاها ، وقالت : والله لا قَعَدَ منى رجل مقعد عثمان أبداً [٣] ! .

لأعرابية فى أبيها

● وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن فى الله تبارك وتعالى مِنْ فقدك عوضاً ، وفى رسول الله ﷺ من مصيبتك أسوة .

ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مقفراً من الزاد [٤] مُخْشَوْشِن المهاد [٥]

---

(١) الفسطاط : الخيمة .

(٢) فهر : حجر صغير .

(٣) لن أكون لغيره زوجة .

(٤) لا زاد معه .

(٥) مهاده وسريره حشن ، فهو ينام على تراب .

غنيا عما فى أيدى العباد [١] ، فقيرا إلى مافى يديك ياجواد [٢] ، وأنت أىُّ ربٍّ خير من نزل به المؤملون [٣] ، واستغنى بفضله المقلون [٤] وولج [٥] فى سعة رحمته المذنبون .

اللهم فليكن قِرى [٦] عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ... .

ثم انصرفت ! .

لأعرابية فى رثاء ابنها

● قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض فى خباء لها ، وبين يديها بُنى لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه ... فأغمضته وعصبته ، وسجته [٧] ، وقالت : يابن أخى ، قلت : ماتشائين ؟ .

قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النَّظِرة ، أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقدته ، والحلول بعفو ربه ، والمحالة بينه وبين نفسه !؛ قال : وما يقطر من عينها دمعة صبراً واحتساباً .

ثم نظرت إليه فقالت :

والله ماكان ماله لبطنه ، ولا أمره لعرسه ، ثم أنشدت :

رحيب الذراع بالتى لا تشينه وإن كانت الفحشاء بها ذرعاً

---

(١) فلم يعد فى حاجة إلى ما يحتاج إليه أهل الدنيا من مال ومتاع . .
(٢) من رحمة ومغفرة ورضوان .
(٣) الذين علقوا آمالهم على رحمتك وكرمك ومغفرتك .
(٤) المقل : قليل الفضل .
(٥) ولج : دخل .
(٦) القِرى : ما يقدم للضيف .
(٧) سجته : غطته بثوب ونحوه .

لجارية على قبر أبيها

● سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهى تقول :

يا أبت ، مثل يومك لم أره ! قال : الذى - والله - لم يرمثل يومه أبوك ! (١) .

أبيات قيل : إنها لأبى نواس

● وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس ثلاثة أبيات ؛ فقيل : إنها من قول أبى نواس ، وهى :

أقولُ لقبر زرته متلثماً (٢) ... سقى الله بَرْدَ العفو صاحبة القبر

لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى ... وشمس الضحى بين الصفائح (٣) والعفر

عجبت لعينٍ بعدها ملت البكا ... وقلبٍ عليها يرتجى راحة الصبر

أعرابية مات ابنها

● قيل لأعرابية مات ابنها . ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه آمننى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده ! .

ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أُحاذر

كنت السواد لناظرى ... فعمى عليك الناظرُ

ليت المنازل والديا ... ر حفائر ومقابر

إنى وغيرى لامحالة ... حيث صرت لصائر (٤)

---

(١) نعم فأيام الدنيا متشابهة ، فى سرائها وضرائها ، أما هذا اليوم الذى يسلم فيه الإنسان روحه ، ويفارق دنياه ، فإنه يرى ما ليس له مثيل من قبل فى دنياه ... لقد انتقل من عالم إلى عالم .

(٢) متلثما : يقبل ذا الجدار وذا الجدار .

(٣) بين الصفائح والعفر بين الأحجار والتراب .

(٤) كلنا للموت صائرون .

● وقالت أعرابية ترثى ولدها :

يافرحة القلب والأحشاء والكبد ... ياليت أمك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت فى كفن ... مطيبا للمنايا آخر الأبد
أيقنت بعدك أنى غير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عَضُدِ

● وقالت أعرابية :

أبنى غيبك المحل الملحدُ ... إما بعدت فأين من لا يبعد
أنت الذى فى كل ممسى ليلةٍ ... تبلى وحزنك فى الحشا يتجدد

● وقالت فيه :

لئن كنت لى لهوا لعين وقرة ... لقد صرت سقما للقلوب الصحائح
وهون حزنى أن يومك مدركى ... وأنى غدا من أهل تلك الضرائح [1]

● أبو عبيد البجلى قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له : عامر ، :

● فقالت :

أقمت أبكيه على قبره ... من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار لى وحشةٌ ... قد ذَلَّ من ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا ... إذا نزلت بى خطةٌ لا أشاؤها
إذا نحن أبنا [2] سالمين بأنفس ... كرام رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها ... تئوب ويبقى ماؤها وحياؤها
ولا بر إلا مادون ما بر عامر ... ولكن نفسا لا يدوم بقاؤها
هو ابنى أمسى أجرُهُ لى وعزنى ... على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحتسب أوجر [3] وإن أبكه أكن ... كباكية لم يحى ميتا بكاؤها

---

(١) الضرائح . جمع ضريح . القبر .
(٢) أبنا : عدنا ورجعنا وفعله آب
(٣) ينالنى الأجر لأننى احتسبته عند الله

هذيلية فى رثاء إخوة وابن

● الشيبانى قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام ، فهلكوا جميعا فى الطاعون ، وكانت بكراً لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها ، فلم تلبث أن اشتملت [1] على غلام فولدته ، فنبت نباتا كأنما يمد بناصيته [2] وبلغ ، فزوجته وأخذت فى جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء [3] ، أتاه أجله ، فلم تشق لها جيبا ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه ، دعيت لتوديعه ، فأكبت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ، ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المسرة لا تدوم . ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان [4] غفر بشاهقة [5] له أم رؤومُ

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا .

لشيبانية فى حزنها على أهلها

● خليفة بن خياط قال : ما رأيت أشد كمداً من امرأة من بنى شيبان ، قتل ابنها ، وأبوها ، وزوجها وأمها ، وعمتها ، وخالتها مع الضحاك الحرورى ، فما رأيتها قط ضاحكة ، ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

---

(١) اشتملت : حملت .
(٢) كان سريع النماء والطول .
(٣) البناء على الزوجة الدخول بها .
(٤) يقال نزلت به حوادث الدهر وأحداثه ، ومن ينحو من الحَدَثان ؟ .
(٥) ليس ينجو أحد وإن كان بمكان عالٍ شاهق ترعاه أم حانية وتحوطه وتحميه ، ويضرب المثل بالغُفْر فى البعد والمنعة والحصانة فيقال : أبعد من معقل الغُفر ، بل من مطلع الغفر ، وهما ولد الأرْويَّه ومنزل من منازل القمر

من لقلب شفة الحزن ولنفس مالها سكن
ظعن [1] الأبرار فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا

رثاء أخت النضر له

قال ابن إسحق – صاحب المغازى – لما نزل رسول الله ﷺ الصفراء – وقال ابن هشام الأثيل – أمر على بن أبى طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً [2] ، بين يدى الرسول ﷺ . فقالت أخته : قتيلة بنت الحارث ترثيه [3] :

يا راكباً إن الأثيل مظنـــة من صبح خامسة وأنت موفق [4]
بلغ به ميتاً فإن تحيـــــة ما إن تزال بها الركائب تخفق [5]

---

(1) الظعن : السفر والارتحال .

(2) كل ذى روح يوثق حين يقتل فقد قتل صبرًا .

(3) هى من الشعراء المخضرمين . وكان النضر أخوها يؤدى رسول الله ﷺ والمسلمين ويقول : يأتيكم بأخبار عاد وثمود ، وأنا آتيكم بأخبار الأكاسرة والقياصرة ، فلما قتل قالت هذا الأبيات ترثيه – وقيل فى شعرها : أكرم شعر موتور ، وأعفه ، وأكفه ، وأحلمه .

(4) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، والمظنة موضع الظن . تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه صبيحة ليلة خامسة ، وقولها : وأنت موفق : أى حينما لا تضل طريقك . والمعنى : يا راكبا ، إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم تزغ عنه .

(5) ما –إن – تزال : إن زائدة للتوكيد . وتخفق : تتحرك .

منّى إليك وعبرةً مســفوحةً حادت بواكفها وأخرى تخنق [١]
هل يسمعنى النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق [٢]
أمحمد يا خير ضنء كريمةٍ من قومه والفحل فحل معرق [٣]
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق [٤]
فالنضر أقرب من أسرت قرابةً وأحقهم إن كان عتقا يعتق [٥]
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشــه لله أرحام هناك تشقق [٦]
صبرا يقاد إلى المنية متعــبا رسف المقيد وهو عانٍ موثق [٧]

عمر بن الخطاب والخنساء فى أخويها

● الأصمعى قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب [٨] فى وجهها فقال : ماهذه الندوب ياخنساء ؟! قالت : من طول البكاء على أخوى ! ، قال لها : أخواك فى النار ! قالت : ذلك أطول لحزنى عليهما ، إنما كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكى لهما من النار ، وأنشدت تقول :

---

(١) مسفوحة : مصبوبة . ومعنى البيتين : إذا وصلت إلى هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لا تزال الركائب تتحرك بها منى إليه وبلغه عبرة مصبوبة ، وأخرى بالحلق تخنقه .

(٢) إنها تتساءل فى حسرة .. هل يسمعها أخوها ، ولكنها سرعان ما تقول : كيف يسمع من لا ينطق ؟! وإن كانت السنة الشريفة أخبرتنا أن الميت يسمع وقع النعال .

(٣) الضِّنْء الولد . والمعرق : من له عرق فى الكرم . والمعنى : يا محمد ، إن التى ولدتك كريمة قومها ، والذى ولدك سيد عريق فى الكرم ، فأنت خلاصة شريفين .

(٤) المعنى : وإذا كنت كذلك فما الذى يضرك لو مننت على أخى وأطلقته وليس هذا عيبا عليك إذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق .

(٥) إن النضر أقرب الأسراء الذين أسرتهم إليك وأحقهم بالعتق إن وقع فكاك أو عتق .

(٦) تنوشه : تتناوله . واللام فى – لله – للتعجب . والمعنى : لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام تتقطع هناك .

(٧) إنه يقاد إلى الموت متعبا فى قيوده .

(٨) الندوب ما تتركه الدموع وغيرها فى الوجه من آثار وكأنما هى مجارٍ للدموع .

وقائلة – والنفس قد فات خطوها   لتدركه – يالهف نفسى على صخر
ألا ثكلت [1] أم الذين غدوا به   إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر ؟!

عائشة والخنساء فى صدار [2] كانت تلبسه :

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعليها صدار من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ماهذا ياخنساء ؟ فو الله لقد توفى رسول الله ﷺ فمالبسته ! .

قالت : إن له معني دعانى إلى لباسه ، وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه ، وكان رجلا متلافاً ، فأسرف فى ماله حتى أنفده ، ثم رجع فى مالى فأنفده أيضا ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين ياخنساء ؟! قلت : إلى أخى صخر ، قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال لى : إلى أين ياخنساء ؟ فقلت إلى أخى صخر .. ! .

قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين ، وخيرنا فى أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ؟ فقال :

والله لأمنحها شرارها   فلو هلكت قددت خمارها
واتخذت من شعر صدارها   وهى حصان قد كفتنى عارها

فآليت ألا يفارق الصدار جسدى مابقيت ! .

● **من رثت زوجها :**

قالت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين – رضى الله عنها – ترثى زوجها

---

(١) الثكلى هى من فقدت بنيها .

(٢) الصّدار : قميص يغشى الصدر بلا كمين ، واستشعرته لبسته بحيث يلى الجسد ، والشعار ما يلبس تحت الدثار فالجلباب دثار والقميص شعار

الزبير بن العوام وكان قتله عمرو بن جرمور المجاشعى بوادى السباع وهو منصرف من وقعه الجمل [وتروى هده الأبيات لزوجته التى تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه] :

غدر ابن جرمور بفارس بهمة	يوم الهياح وكان غير معرد [1]
يا عمرو لو نبهته لو جدته	لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما	حلت عليك عقوبة المتعمد

● لبانة زوجة الأمين ترثيه :

الهلالى قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت على بن ريطة ، وكانت من أجمل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبن بها ، فقالت ترثيه :

أبكيك لا للنعيم والأنس	بل للمعالى والرمح والفرس
يا فارساً بالعراء مطرحاً	خانته قواده مع الحرس
أبكى على سيد فجعت به	أرملنى قبل ليلة العرس
أم من لبر أم من لعائدة	أم من لذكر الإله فى الغلس [2]
من للحروب التى تكون لها	إن أضرمت نارها بلا قبس

● وقالت أعرابية ترثى زوجها [3] :

كنا كغصنين فى جرثومة سمقا	حينا بأحسن مايسمو له الشجر [4]

---

(١) البهمة . الشجاع الذى يستبهم مأتاه على أقرانه فيحارون كيف يأتونه ، ومن أين ينالونه ويتمكنون منه ؟! وعرّد عنه : إذا انحرف وبعد . فقد غدر به على مقربة منه دون أن ينبهه .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) هده الأبيات منسوبة فى ديوان الحماسة لصفية الباهلية ترثى أخاها (الطبعة الثانية ١٩١٣م)

(٤) الجرثومة : الأصل ، والتراب المتجمع فى أصول الشجر وسمقا : طالا ، ويسمو : يعلو ، والمعنى كنا كغصنين طالا وتشعبا من أصل واحد متكافئين فى رفعة الشرف ، ودما رمانا على أحسن ما يدوم به الفرعان فى أصلهما وقد جاء البيت فى العقد :

.... سمقا حينا على خير ما يسمى به الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب فيئاهما واستنظر الثمر (١)
أخنى على واحدى ريب الزمان وما ... يبقى الزمان على شيء ولا يذر (٢)
كنا كأنجم ليل بينها قمــر ... يجلو الدجى فهوى من دونها القمر (٣)

● الأصمعي وجارية على قبر زوجها :

● الأصمعي قال : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل مالم أرمثله وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجي ؛ فالتفت إلى صاحبى فقلت : هل رأيت أعجب من هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ! .

ثم قلت لها : يا هذه إنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن .

فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى ... رهينة هذا القبر يافتيــان
وإنى لأ ستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى (٤) ... مخافة يوم أن يسوءَك شــانى

---

(١) الفيء : الظل ، واستنظر : انتظر ، وفى رواية العقد : وطال قنواهما واستنظر الثمر والقنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .

(٢) أخنى : أهلك ، وريب الزمان : مصيبته ، ولا يذر : ولا يدع . ومعنى البيتين : أننا لما بلغنا الكمال ، وطاب منشؤنا ، وكنا كفرعى الشجرة التى طاب ظلها ، واستنظر ثمار أغصانها أحدث حدثان الدهر أحداثا فاجعة فأهلكت – أخى – أو زوجى – على رواية العقد – الواحد . ولا عجب ؛ فإن هذه أحوال الدهر الذى لا يدوم على حال .

(٣) كنا فى الاجتماع مع الأهلين كالأنجم التى تبدو فى الليل ، وهو بيننا كالقمر الذى يكشف الظلمة ، فسقط من وسطها . أى غاب عن أعيننا .

(٤) الثرى : التراب ، وهى ما زالت تعمل حسابه ، ويعتريها الحياء منه ميتا كما كانت معه حيا ، فهى تهابه إجلالا .

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يامن كان ينعم بى ... بالاً ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حلي وفى حلل ... كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه ... أن قد تسر به من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى موهلة ... عجيبة الزى تبكى بين أموات [1]

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهى تبكى وتقول :

خدى يقيك خشونة اللحد ... وقليلة لك سيدى خدى
ياساكن القبر الذى بوفاته ... عميت على مسالك الرشد[2]
آسمع أبثك علتى ولعلنى ... أطفى بذلك حرقة الوجد [3]

● **من رثى جاريته :**

كان لمعلى الطائى جارية يقال لها وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرنى محمد بن وضاح ، قال : أدركت معلى الطائى بمصر ، وأعطى بجاريته « وصف » أربعة آلاف دينار ، فباعها ، فلما دخل عليها قالت له : بعتنى يامعلى ؟! قال : نعم . قالت : والله لو ملكت منك مثل ماتملك منى مابعتك بالدنيا ومافيها ! فرد الدنانير ، واستقال [4] صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ، فقال يرثيها .

ياموت كيف سلبتنى وصفا ... قدمتها وتركتنى خلفا
هلا ذهبت بنا معا فلقد ... ظفرت يداك فسمتنى خَسْفًا[5]
وأخذت شق النفس من بدنى ... فقبرته وتركت لى النصفا

---

(١) عبرى . باكية تسيل عبراتها ، وموهلة دهب الحرن بعقلها .
(٢) أصبحت حائرة بعدك ، فقد كت ترشدنى ، وتهدينى .
(٣) الوَجْدُ : الحزن
(٤) استقال صاحبه طلب منه أن يعفيه من إتمام الصفقه ويرد عليه جاريته لأنه رجع فى البيع
(٥) سمتنى خسفا · أذقتنى الذل بعدها

فعليك بالباقى بلا أجل ... فالموت بعد وفاتها أعفى

ياموت ما أبقيت لى أحداً ... لما رفعت إلى البلى وصفا

هلا رحمت شباب غانية ... ريا العظام وشعرها الوحفا (١)

ورحمت عينى ظبية جعلت ... بين الرياض تناظر الخشفا (٢)

تغض إذا انتصبت فرائصه ... وتظل ترعاه إذا أغفى (٣)

فإذا مشى اختلفت قوائمه ... وقت الرضاع فينطوى ضعفا

متحيرا فى المشى مرتعشا ... يخطو فيضرب ظلفه الظلفا

فكأنها وصف إذا جعلت ... نحوى تحير محاجرا وطفا (٤)

ياموت أنت كذا لكل أخى ... إلف يصون ببره الإلفا

خليتنى فرداً وبنت بها ... ما كنت قبلك حاملا وكفا(٥)

فتركتها بالرغم فى جدث ... للريح تنسف تربه نسفا

دون المقطم لا ألبسها ... من زينةٍ قرطا ولا شنفا (٦)

أسكنتها فى قعر مظلمة ... بيتا يصافح تربه السقفا

بيتا إذا مازاره أحد ... عصفت به أيدى البلى عصفا

لا نلتقى أبدا معاينة ... حتى نقوم لربنا صفا

لبست ثياب الحتف جارية ... قد كنت ألبس دونها الحتفا(٧)

فكأنها والنفس زاهقة ... غصن من الريحان قد جفا

ياقبر أبق على محاسنها ... فلقد حويت البر والظرفا

---

(١) الغانية : التى استغنت بجمالها عن الريبة ، وريا العظام : طرية ناعمة وشعرها الوحف : الاسود الفاحم الكثيف .

(٢) الخشف : ولد الغزال يطلق على الدكر والأنثى .

(٣) الفرائص : جمع فريصة وهى لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع فإذا ما رأت وليدها قد نام تظل ساهرة عليه ترعاه .

(٤) المحجر من العين ما دار بها . وطفاء كثيرة شعر الحاجبين .

(٥) بنت بها : بعدت بها عنى ، وما كنت قبلك حاملا وكفا أى حزنا ودموعا تكف وتسيل .

(٦) الشنف : ما علق فى الأدن ، أو أعلاها من الحلى .

(٧) الحتف : الموت ، وجارية : شابة .

● مروان بن محمد وجارية له :

● لما هزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له خلفها بالرملة :

وما زال يدعونى إلى الصد مأرى ... فآبى ويثنينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزا أن تبينى وبيننا ... حجاب فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما للقلب – والله – فاعلمى ... إذا ازددت مثليها فصرت على شهر
وأعظم من هذين – والله – أننى ... أخاف بألا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبرة ... ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● وقال حبيب الطائى يرثى جارية أصيب بها :

جفوف البلى أسرعت فى الغصن الرطب ... وخطب الردى والموت أبرحت من خطب
لقد شرقت فى الشرق بالموت غادة ... تبدلت منها غربة الدار فى القرب
وألبسنى ثوبا من الحزن والأسى ... هلال عليه نسج ثوب من الترب
وكنت أُرَجِّى القرب وهى بعيدة ... فقد نقلت بعدى عن البعد والقرب
أقول وقد قالوا استراحت لموتها ... من الكرب روح الموت شر من الكرب
لها منزل تحت الثرى وعهدتها ... لها منزل بين الجوانح والقلب

● وقال يرثيها :

ألم ترنى خليت نفسى وشأنها ... ولم أحفل الدنيا ولا حدثانها (١)
لقد خوفتنى النائبات صروفها ... ولو أمنتنى ما قبلت أمانها (٢)
وكيف على نار الليالى معرس ... إذا كان شيب العارضين دخانها
أصبت بخود سوف أغبر بعدها ... حليف أسى أبكى زماناً زمانها (٣)

(١) لم أحفل . لم اهتم ، وحدثانها ، أحداثها .
(٢) صروفها : نكباتها ، ولهذا لم يعد يأمنها .
(٣) الخود . الفتاة الناعمة حسنة المظهر والمخبر ، ويقول إنه سيظل بعدها يحالف الحزن .

عنان من اللذات قد كان فى يدى ... فلما قضى الإلف استردت عنانها [1]
سحت المها هجرى فلا محسناتها ... أريد ولا يهوى فؤادى حسانها [2]
يقولون : هل يبكى الفتى لخريدة ... إذا ماأراد اعتاض عشراً مكانها [3]
وهل يستعيض المرء من خمس كفه ... ولو صاغ من حر اللجين بنانها [4]

● وقال أعرابى يرثى امرأته :

فو الله ما أدرى إذا الليل جننى ... وذكرنيها أينا هو أوجع [5]
أمنفصل عنه ثرى ؟ أم كريمة ... أم العاشق النابى به كل مضجع ؟ [6]

● وقال محمود الوراق يرثى جاريته نشو :

ومنتصح يردد ذكر نشو ... على عمد ليبعث لى اكتئابا
أقول : وعد ماكانت تساوى ... سيحسب ذاك من خلق الحسابا
عطيته إذا أعطى سروراً ... وإن أخذ الذى أعطى أثابا
فأى النعمتين أعم نفعا ... وأحسن فى عواقبها إيابا
أنعمته التى أهدت سروراً ... أم الأخرى التى أهدت ثوابا ؟
بل الأخرى وإن نزلت بحزن ... أحق بشكر من صبر احتسابا!

---

(١) يتحسر على ما كان يتاح له من لذات يمسك بعنانها عندما كانت تعايشه فلما ماتت استردت عنانها – والعنان ما يمسك به الفارس من فرسه

(٢) يقصد النساء الجميلات ، وقد كانوا يشبهون المرأة بالمهاة وهى بقر الوحش لسعة عينيها – فلقد أعرض عن جمالهن وهجرهن بفراقها .

(٣) الخريدة . البكر الحيية الطويلة السكوت ، واللؤلؤة لم تثقب ، ويقول : إن فراغها لا يملؤه غيرها ولو كن عشرا .

(٤) هل يمكن أن تسد أى أصابع مكان أصابع اليد . ولو صيغت من فضة .. إن غيرها لا يعوضه عنها مهما بلغن فى الجمال .

(٥) جن عليه الليل أظلم .

(٦) نبا به المضجع . كرهه ، فلا ينام .

● محب وجارية له ماتت :

أبو جعفر البغدادى قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ، فماتت ، فوجد (١) عليها وجداً شديدا ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية فى نومه فأنشدته هذه الأبيات :

جاءت تزور وسادى بعد مادفنت   فى النوم ألثم خداً زانه الجيد
فقلت : قرة عينى (٢) قد نعيت لنا   فكيف ذا وطريق القبر مسدود ؟!
قالت : هناك عظامى فيه ملحدة   تنهش منها هوام الأرض والدود
وهذه النفس قد جاءتك زائرة   فاقبل زيارة من فى القبر ملحود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشرهم . فما بقى بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها .

● رثاء ابنة لأحد بنى حميد

قال البحترى يعزى أبا نهشل (٣) محمد بن حميد الطوسى عن ابنته :

ظلم الدهر فيكم وأساء   فعزاء بنى حميد عزاء
أنفس ماتكاد تفقد فقداً   وصدور ماتبرح البرحاء

---

(١) حزن عليها حزناً شديداً .
(٢) يا قُرةَ عينى .
(٣) أبو نهشل محمد بن حميد ، وأخواه أبو نصر محمد ، وأبو عبد الله محمد هم : بنو حميد ابن عبد الحميد الطائى الطوسى القائد الذى قتل فى حرب بابك سنة ٢١٤ وقد ترجم المرزبانى لهم فى معجم الشعراء ، وقال : إنهم شعراء أدباء ، وقد رثى أبو تمام أباهم عند مصرعه ، وهذه القصيدة يرجع تاريخها إلى سنة ٢٣٠ هـ ديوان البحترى حـ ١ .

أصبح السيف داءكم وهو الد ... اء الذى مايزال يعيى الدواء (1)

وانتحى القتل فيكم فبكينا ... بدماء الدموع (2) تلك الدماء

ياأباالقاسم المقسم فى النجـ ... ـدة والجود والندى أجزاء (3)

والهزبر الذى إذا دارت الحر ... ب به صرف الردى كيف شاء (4)

الأسى واجب على الحر ، إما ... نيةً حرةً وإما رياء (5)

وسفاه أن يجزع الحر مما ... كان حتما على العباد قضاء (6)

أنبكى من لاينازل بالسيـ ... ـف مشيحا ولا يهز اللواء ؟ (7)

والفتى من رأى القبور لما طا ... ف به من بناته أكفاء (8)

لسن من زينة الحياة كعد اللـ ... ـه منها الأموال والأبناء (9)

قد ولدن الأعداء قدما وورثـ ... ـن التلاد الأقاصى البعداء (10)

لم يئد تربهن « قيس تميم » ... عيلة بل حمية وإباء (11)

---

(1) يقف الدواء والطب عاجزا أمام السيف .

(2) بدموع تشبه الدماء عبرنا عن حرسا على قتلاكم .

(3) الندى · العطاء ، وقد وصفه بالنجدة ، والجود ، والندى .

(4) الهزبر : الأسد ، وهو هنا شجاع عندما تدور رحى الحرب ، لا يهاب الموت بل يوجه الموت لكل من حوله ممن يقاتلهم كيف شاء .

(5) الأُسَى بضم الهمزة وكسرها · جمع أسوة أى القُدْوة وما يأتسى به الحزين .

(6) من السفه أن يجزع ونحزن مما هو لا مفر من وقوعه .

(7) لا يستحق البكاء فى نظر الشاعر من لا ينازل الأبطال ، ولا يحمى اللواء فى ميادين القتال يعنى بذلك : النساء ؛ فهو يعجب ممن يبكيهن . والمشيح : الجاد الحذر والمانع لما وراء ظهره .

(8) الفتى الحق من يرى أن القبور هى المناسبة لما طاف به من بناته .

(9) يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى عندما عد زينة الحياة الدنيا قال : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف : ٤٦] وليس من هذه الزينة البنات .

(10) التِّلاد بالفتح : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك وهو ضد الطارف ويقصد أنهن يتزوجن فينسب أبناؤهن إلى قبائل الأزواج وربما كانت معادية لقبيلة الأم فينتمى الأبناء لتلك القبيلة المعادية كما قال شاعر مماثل :

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وأيضا ينتقل ميراث البنت معها إلى زوجها وأولادها .

(11) العيلة : مصدر عال : افتقر . وقيس تميم : هو قيس بن عاصم المنقرى ينتسب إلى زيد مناة ابن تميم ، وقد كان يئد كل بنت تولد له ويبرر الشاعر ذلك بأنه لم يكن الدافع من وراء ذلك الوأد الفقر وإنما كان الإباء والحمية وخوف العار والفضيحة وتربهن : أى مثلهن .

وتغشى فى مهلهل الذل فيهـــ ـــن وقد أعطى الأديم حباء (١)

وشقيق بن فاتك حذر العا ر عليهن فارق الدهناء (٢)

وعلى غيرهن أحزن يعقو ب وقد جاءه بنوه عشاء (٣)

وشعيب من أجلهن رأى الوحـ ـدة ضعفا فاستأجر الأنبياء (٤)

واستزل الشيطان آدم فى الجـ ـنة لما أغرى به « حواء »

وتلفت إلى القبائل فانظر أمهات يُنسبن أم آباء ؟!

ولعمرى ما العجز عندى إلا أن تبيت الرجال تبكى النساء !!

للإسكندر يعزى أمه عن فقده

● ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه :

أن اصنعى طعاما يحضره الناس ، ثم تقدمى إليهم :

ألا يأكل منه محزون ، ففعلت : فلم يبسط أحد إليه يده ، فقالت : مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ، وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب ! .

فقالت : مات والله ابنى ! .

ومـــا أوصى إلى بهذا إلا ليعزيــــى به !

---

(١) مهلهل بن ربيعة التغلبى نزل بقبيلة يقال لها : « جنب » فزوج إحدى بناته فيها لمعاوية ابن عمر من ولد هذه القبيلة . وقدم لها مهرها جلودًا . فقال :

زوجها فقدها الأراقم من جنب وكان الحبـــاء من أدم

والأديم : الجلد . والحباء : العطاء . ويقصد أن أباها تغشاه الذل عندما أُعطِى مهر ابنته جلدًا .

(٢) الدهناء : من ديار بنى تميم معروفة ، وهى سبعة أُجبُل من الرمل فى عرضها بين كل جبلين شقيقة ، إذا أخصبت ربعت العرب جميعا لسعتها . ويقصد أن شقيق بن فاتك فارق موْطنه خوف العار على بناته .

(٣) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام وحزن أبيه عليه لما عاد إخوته إلى أبيهم بعد أن ألقوا أخاهم فى الجب . وأن هذا الحزن لم يكن عليهن !

(٤) يشير إلى قصة موسى عليه السلام مع ابنتى شعيب عندما سقاهما من ماء مدين وقد وردت قصة ذلك فى القرآن الكريم سورة القصص [الآيات : ٢٣ - ٢٨] .

- الوافدات على معاوية من صواحب على .
- من يضرب به المثل منهن
- أمثال نسائية رددها الحاضر والبادى .

بين يدى هذا الباب

● قال أحمد بن عبد ربه فى الوفود :

« إنها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستهذب الألفاظ ، وتستجزل المعانى .

ولابد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم ، وزعيمهم الذى عن قوسه ينزعون (١) ، وعن رأيه يصدرون ؛ فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة .

وما ظنك بوافد يتكلم بين يدى خليفة ، فى رغبة أو رهبة ، يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن أمامه أخرى ! .

أتراه مدخرا نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ؟ .

أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة إلا وهو عندهم فى غاية الحذلقة (٢) ، واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة ! .

ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى ، لما وفد على النبى ﷺ بسط له رداءه ، وقال : هذا سيد أهل الوبر ! » .

● وأنا أقول فى هؤلاء الوافدات :

إليك وافدات النساء على معاوية من صواحب على رضى الله عنه .

---

(١) نزع عن القوس رمى عنها ، والمراد أنهم تابعون له يأتمرون بأمره .
(٢) الحذلقة إظهار الحذق والقدرة الكلامية ، واللَّسَن : الفصاحة .

ترى كيف كان ذاك اللقاء بين من ضرب المثل « بشَعرتِه » فقال :

لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ؛ لأنهم إذا شدوا أرخيت ! وإذا أُرخوا شددت ؟! .

– وبين من قيل لهن : « إن كيدكن عظيم » ! .

ولمن ياترى تكون الغلبة ؟!! .

ذلك ما تجده فى حوار ثمان منهن .. .

١ – وفود سودة ابنة عمارة على معاوية (١)

عامر الشعبى قال : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبى سفيان ، فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت عليه ، فقال لها : كيف أنت يابنة الأشتر ؟ قالت : بخير ياأمير المؤمنين .

قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمر كفعل أبيك يابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه	واقصد لهندٍ وابنها بهوان (١)
إن الإمام أخا النبى محمد	علمٍ الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قدماً بأبيض صارم وسنان

(١) سودة : كانت سفيرة لقومها تعرض شكواهم على الرجل الذى أصبح خليفة عليهم دون رغبة منهم ، ولكن ما دام الأمر قد صار إليه ، وولى عليهم – عن قصد منه – واليا ظالما – فلا مفر من الشكوى إليه مع أمل ضعيف فى أن يجنبهم ظلم واليه ، وبطشه بهم وقتله رجالهم . ولم تحِس سودة عن تهديد الخليفة ، تهديدًا صيغ من ألفاظ فى رقة الحرير « فإما عزلته عنا فشكرناك ، وإما لا فعرفناك » أى فعرفناك ظالما ولابد من مقاومة ظلمك .

(٢) هند : هى هند بنت عتبة ، والدة معاوية .

قالت : يأمير المؤمنين : مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي .

قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك ينسى .

قالت : صدقت والله ياأمير المؤمنين ، ما كان أخى خفى المقام ، ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم [١] فى رأسه نار

وبالله أسأل ياأمير المؤمنين إعفائى مما استعفيته . قال : قد فعلت ، فقولى حاجتك . قالت : ياأمير المؤمنين ، إنك للناس سيد ، ولأمورهم متقلد ، والله سائلك عما افترض [٢] عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة [٣] قدم بلادى ، لوقتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ، فإما عزلته فشكرناك ، وإما لافعرفناك ! .

فقال معاوية : إياى تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن أردك على قَتَبٍ أشرس [٤] ، فينفذ حكمه فيك . فسكتت ، ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنه [٥] ... قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغى به ثمناً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ .

---

(١) علم : جبل . وهم يقولون فى كل مشهور معروف : أشهر من نار على علم .
(٢) افترض عليك : أوجب عليك من حقوق للرعية .
(٣) ابن أرطاة : أحد ولاة معاوية الشداد
(٤) قتب : الرحل الصغير على قدر سنام البعير . أشرس : سيىء متعب ونرى أن معاوية يغلظ لها القول ، وما كان له ولا لغيره أن يغلظ القول لامرأة ! .
(٥) تضمنه : اشتمل عليه .

قالت : على بن أبى طالب رحمه الله تعالى.

قال : ما أرى عليك منه أثرا ! .

قالت : بلى ، أتيته يوماً فى رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه مابين الغث والثمين ، فوجدته قائما يصلى ، فانفتل من الصلاة (١) ، ثم قال برأفة وتعطف :

ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : اللهم إنى لم آمره بظلم خلقك ، ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .. ﴿ قد جاءتكم بينه من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (٢) . ﴿ ولا تعثوا (٣) فى الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك . والسلام .

فعزله ياأمير المؤمنين . ماحزمه بحزام ، ولا ختمه بختام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها . فقالت : ألى خاصة أم لقومى عامة ؟ .

قال : ما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله الفحشاء واللؤم ، إن لم يكن عدلا شاملا ، وإلا يسعنى مايسع قومى . قال : هيهات !، لمظكم (٤) ابن أبى طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئا ماتفطمون ، وغركم قوله :

فلو كنت بوابا على باب جنةٍ   لقلت لهمدان (٥) : ادخلوا بسلام

---

(١) انفتل : تخلص بسرعة .

(٢) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٣) بقية الآية ٨٥ ، ٨٦ من سورة هود .

(٤) لمظكم : من التلمظ وهو تحريك اللسان فى الفم بعد الأكل ، والمراد عودكم .

(٥) همدان : قبيلة يمنية كانت تناصر عليا كرم الله وجهه

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى[1] فتحة الباب
كالهندوانى لم تقلل مضاربه وجه جميل وقلب غيروجاب[2] .

اكتبوا لها بحاجتها[3] .

* * *

٢ – وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبى قال :

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سيفان ، فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى[4] بصرها ، وضعفت قوتها ، ترعش[5] بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت ياخالة ؟ .

قالت : بخير ياأمير المؤمنين ، قال : غيرك الدهر ! قالت : كذلك هو ذو غير[6] ، من عاش كبر ، ومن مات قبر .

قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

يازيد دونك فاستشر من دارنا سيفا حساما فى التراب دفينا
قد كنت أذخره[7] ليوم كريمة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

---

(١) سنّى فتحة الباب : أتاح لها وسهل .
(٢) الوحّاب : كثير الخفقان من وجب القلب وجيبا سمع صوت دقاته .
(٣) يالها من زعيمة أعز الإسلام جانبها ، ووسعت الثقافة فكرها ، وعمقت أفقها .
(٤) العشا : سوء البصر بالليل ، أو سوء البصر بالليل والنهار ، أو العمى .
(٥) ترتعش وترتعد .
(٦) غير الدهر : أحداثه .
(٧) أذخره : أدخره .

أترى ابن هندٍ (١) للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك فى الخلاء ضلالةً أغراك عمرو للشقا وسعيد (٢)

قال سعيد بن العاصى : هى والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتى فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
فى كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمدَ عائبا (٣)

ثم سكتوا . فقالت : يامعاوية ، كلامك أعشى بصرى ، وقصر حجتى ، أنا والله قائلة ماقالوا ، وماخفى عليك منى أكثر !

فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك .

قالت : أما الآن ، فلا .

* * *

٣ - وفود الزرقاء على معاوية

عبيد الله بن عمر الغسانى عن الشعبى قال : حدثنى جماعة من بنى أمية ممن كان يسمر مع معاوية قالوا : بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد ، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن غالب بن قيس الهمدانية ، وكانت شهدت مع قومها صفين ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ .

قال بعضهم : نحن نحفظه ياأمير المؤمنين . قال : فأشيروا على فى أمرها .

فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها . قال بئس الرأى أشرتم به على ، أيحسن بمثلى أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها .

---

(١) معاوية .
(٢) عمرو بن العاص ، وسعيد بن العاصى وكانت لهما الحظوة فى مجلس الخليفة .
(٣) على وفاطمة .. والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين .

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاء لينا ، ويسترها بستر خصيف (١) ، ويوسع لها فى النفقة ، فأرسل إليها عامله ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إلى فإنى لا آتيه ، وإن كان حتم فالطاعة أولى . فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به .

فلما دخلت على معاوية قال : مرحبا وأهلا ، قدمت خير مقدم قدمه وافد ! كيف حالك ؟ .

قالت : بخير ياأمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .

قال : كيف كنت فى مسيرك ؟ .

قالت : ربيبة بيت ، أو طفلا ممهداً .

قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت إليك ؟ .

قالت : أنى لى بعلم ما لم أعلم ؟!

قال : ألست الراكبة الجمل الأحمر ، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين الناس على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟ .

قالت : ياأمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتر الذنب ، ولم يعد ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها معاوية : صدقت ، أتحفظين كلامك يومئذ ؟ .

قالت : والله لا أحفظه ، ولقد أنسيته .

قال : لكنى أحفظه ، لله أبوك حين تقولين :

أيها الناس ، ارعووا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم (٢)

---

(١) خصيف : غليظ . والوطاء الفراش اللين والحصيف المحكم النسج .

(٢) عشّتكم : أى غطتكم وألبستكم . وجلابيب : جمع جلباب وهو ما يلبس وتقصد أن هذه الفتنة قد لفتهم بظلامها

جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنة عمياء ، صماء بكماء ، لا تسمع لناعقيها ، ولاتنساق لقائدها ، إن المصباح لايضيء فى الشمس ، ولاتنير الكواكب مع القمر ، ولايقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص ، فكأن قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، ودمغ الحق باطله ، فلا يجهلن أحدٌ فيقول :

كيف العدل ؟ وأنى ؟ ليقض الله أمراً كان مفعولا .

ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم مابعده :

والصبر خير فى الأمور عواقباً

إيها فى الحرب قدماً غير ناكصين (١) ولا متشاكسين

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شركت عليا فى كل دم سفكه ! .

قالت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ؛ فمثلك بشر بخير ، وسر جليسه .

قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سررت بالخبر ، فأنى لى بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم له فى حياته . اذكرى حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسى ألا أسأل أميرا أعنت عليه (٢)

---

(١) إيهاً : اسم فعل . يقصد به طلب الزيادة . ونكص على عقبيه : تراجع منهزما
(٢) أعنت عليه : وقفت ضده ، وفى صف غير صفه .

أبدا ، ومثلك أعطى من غير مسألة ، وجاد من غير طلبه .

قال : صدقت ! وأمر لها وللذين معها بجوائز وكساً .

* * *

٤ – وفود أم سنان بنت خيثمة

سعيد بن حذافة قال : حبس مروان بن الحكم وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها فأتته جدة الغلام أم أبيه ، وهى أم سنان بنت حيثمة بن خرشة المذحجية ، فكلمته فى الغلام فأغلظ لها مروان .

فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه ، فانتسبت فعرفها ، فقال لها :

مرحبا يابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ .

قالت إن لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأعلاما ظاهرة ، وأحلاما وافرة ، لايجهلون بعد علم ، ولايسفهون بعد حلم ، ولاينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت .

قال : صدقت ! نحن كذلك . فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتى لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
ياآل مذحج لا مقام فشمروا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفرا والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : كان ذلك ياأمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا بعده ، فقال رجل من جلسائه : كيف ياأمير المؤمنين وهى القائلة :

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل . بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى إليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يؤمل بعده هيهات نأمل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق ، وقول صدق ، ولئن تحقق فيك ماظننا فحظك الأوفر .

والله .ما ورثك الشنآن (١). فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء . فادحض مقالتهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت سبحان الله ! ، والله مامثلك مدح بباطل ، ولااعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا .

كان والله على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك .

قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال :

وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوك .
قال : إنهما يطمعان فى ذلك . قالت : هما والله من الرأى على ماكنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله . قال : والله لقد قاربت .. فما حاجتك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إن مروان تبنك فى المدينة تبنك من لايريد منها البراح ، لايحكم بعدل ، ولايقضى بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابنى ، فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فألقمته أخشن من الحجر ، وألعقته أمر من الصاب ، ثم رجعت إلى نفسى باللائمة ، وقلت لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه ؟ فأتيتك ياأمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظرا ، وعليه معديا .

قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها بإطلاقه .

قالت : ياأمير المؤمنين ؛ وأنى لى بالرجعة ، وقد نفد زادى وكلت راحلتى ؟ .

فأمر لها براحلة ، وخمسة آلاف درهم .

---

(١) الشنآن : الكراهية .

٥ – وفود عكرشة بنت الأطرش

على معاوية

أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال :

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن ياعكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ لا على حى . قال : ألست المقلدة حمائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

أيها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لايرحل عنها من أوطنها ، ولايهرم من سكنها ، ولايموت من دخلها ؛ فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ، ولاتنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم .

إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف [١] القلوب ، لايفقهون الإيمان ، ولايدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه ، فالله الله عباد الله فى دين الله ، إياكم والتواكل ؛ فإن ذلك ينقض عرى الإسلام ، ويطفىء نور الحق .

هذه بدر الصغرى ، والعقبة الأخرى . يا معشر المهاجرين والأنصار امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غدا ، ولقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر ، وتروث روث العتاق [٢] .

فكأنى أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه

---

(١) غلف جمع أغلف ، والقلب الأغلف كأنما غشى غلافا ؛ (٢) [illegible]

[illegible]

عكرشة بنت الأطرش بن رواحة . فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ؛ فما حملك على ذلك ؟ قالت : ياأمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين امنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ (١) وإن اللبيب إذا كره أمرا لايحب إعادته ، قال : صدقت ، فاذكرى حاجتك .

قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وإنا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك تنبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور هى أولى بها منكم . بحور تنبثق وثغور تنفتق (٢) .

قالت : يا سبحان الله ، والله مافرض الله لنا حقا فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علام الغيوب .

قال معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبى طالب فلم تطاقوا ! ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

---

(١) سورة المائدة : ١٠١ .

(٢) يريد ما يحد من فتوحات وتوسعات تحتاج إلى أن توجه الأموال إليها ، وكأنما يبرر عدم رد صدقات قوم عكرشة فى فقرائهم ليقرع الحجة بالحجة فى هذا الحوار الممتع الذى انتصرت فيه عكرشة ، ورجعت وقد صدر الأمر برد صدقاتها وإنصافها .

٦ – قصة دارمية الحجونية مع معاوية

رحمه الله تعالى

سهل بن أبى سهل عن أبيه قال : حج معاوية ، فسأله عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها دارمية الحجونية ؛ وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها فجيء بها ؛ فقال : ماحالك يابنة حام (١) ؟ فقالت : لست لحام إن عبتني ؛ أنا امرأة من بنى كنانة .

قال : صدقت . أتدرين لم بعثت إليك ؟ .

قالت : لا يعلم الغيب إلا الله .

قال : بعثت إليك لأسألك : علام أحببت عليا وأبغضتنى ؛ وواليته وعاديتني ؟ قالت : أو تعفنى . قال : لا أعفيك .

قالت : أما إذ أبيت ، فإنى أحببت عليا على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ماليس لك بحق ، وواليت عليا على ماعقد له رسول الله ﷺ من الولاء ، وحبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك فى القضاء . وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك .

قالت : هند – والله – كان يضرب المثل فى ذلك لا بى (٣) .

---

(١) ينسبون الجنس الأسود إلى حام بن نوح .

(٢) العجيزة : العجيزة للمرأة خاصة ، والعَجُز من كل شيء مؤخره ، وامرأة عجزاء : عظيمة العجيزة .

(٣) هند أم معاوية وامرأة أبى سفيان ، ومحرضة وحشى على قتل الحمزة .

قال معاوية : ياهذه ، اربعى [١] ؛ فإنا لم نقل إلا خيرا :

إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها . فرجعت وسكنت قال لها : وياهذه ، هل رأيت عليا ؟ قالت : إى والله . قال : فكيف رأيته ؟ .

قالت : رأيته - والله - لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك .

قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم - والله - فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست [٢] . قال : صدقت ! فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ .

قالت : أغذو بألبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحل عندك محل على بن أبى طالب ؟ .

قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان [٣] ، وفتى ولا كمالك [٤] ، ياسبحان الله أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى عليكم ... فمن ذااللذى بعدى يؤمل للحلم؟
خذيها هنيئا ، واذكرى فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما - والله - لو كان على حيا ما أعطاك منها شيئا .

قالت : لا - والله - ولا وبرةً واحدة من مال المسلمين .

* * *

---

(١) اربَعى : توقفى عن هذا الكلام ، وانتظرى .

(٢) الطَّست : إناء من نحاس لغسل الأيدى ونحو ذلك .

(٣) السعدان : من أفضل مراعى الإبل ، وصدَّاء : بئر ماؤها أعذب وهذان مثلان يضربان لمن يفضل على أقرانه وأشكاله .

(٤) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك حين قتل . يُضرب لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

٧ – وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

عبيد الله بن عمر الغسانى عن الشعبى ، قال : قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقى برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها فأقرأها كتابه ؛ فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج فى صدرى .

فلما شيعها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازينى بالخير خيرا ، وبالشر شرا ؛ فما لى عندك ؟ قالت : ياهذا لا يطمعنك برك بى أن أسرك بباطل . ولا تؤنسك معرفتى بك أن أقول فيه غير [illegible] .

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ؛ ثم أدخلها [illegible] الرابع وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة [illegible] وبركاته .

فقال لها : وعليك السلام يأم الخير . بحق مادعوتنى بهذا الاسم ؟ .

قالت : ياأمير المؤمنين ، مه ؛ فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب [illegible] ولكل أجل كتاب ، قال : صدقت ! فكيف حالك ياخالة ؟ [illegible] كنت فى مسيرك ؟ قالت : لم أزل ياأمير المؤمنين فى خير وعافية حتى [illegible] الملك ، فأنا فى مجلس أنيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت : ياأمير المؤمنين ، يعيذك الله من دحض المقال ، [illegible] عاقبته . قال : ليس هذا أردنا .

[illegible] المفاجأة ، ومدحضة : مبطلة .

أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن زورته قبل ، ولا رويته بعد (١) ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت .

فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها ياأمير المؤمنين . قال : هات .

قال : كأنى بها وعليها برد زبيدى كثيف ، بين النسيج ، وهى على جمل أرمك (٢) ، وقد أحيط حولها حواء (٣) ، وبيدها سوط منتشر الضفيرة ، وهى كالفحل يهدر فى شقشقته (٤) تقول :

يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم !، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع القلم ، ولم يدعكم فى عمياء مدلهمة ، فأين تريدون رحمكم الله ؟ .

أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ .

أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول : ﴿ ولَنَبلُونَّكُمْ حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم ﴾ (٥) .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرعبة ، وبيدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله . هلموا – رحمكم الله – إلى الإمام العادل ، والرضى التقى ، والصديق الأكبر ،

---

(١) روَّيْتُ فى الا[illegible] : فكرت فيه ، وزوَّرْتُه : زينته .
(٢) الأرمك : الرمادى .
(٣) الحواء : ما يتحد[illegible]ولها كالوسادة على الرحل .
(٤) الشِقْشِقَةُ : شيء [illegible] البعير من فيه إذا هاج [illegible] [illegible] بها [illegible]
[illegible] بالقلة [illegible] .
(٥) سورة محمد ٣١

إنها إحن بدرية (١) ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية ، وثب بها واثب حين الغفلة ، ليدرك ثارات بنى عبد شمس .

ثم قالت : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ (٢) .

صبرا يامعشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة ، لاتدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعما قليل لُيصبحن نادمين ، حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص .

إنه من ضل – والله – عن الحق وقع فى الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبى سبطيه (٣) ؟ خلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين (٤) ، ها هو ذا مفلق الهام ، ومكسر الأصنام ؛ صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن (٥) ؛ فيالها من وقائع زرعت فى قلوب نفاقا وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا ؛ وقد اجتهدت فى القول ، وبالغت فى النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يأم الخير ، ماأردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ماحرجت فى ذلك .

---

(١) الإحن جمع إحنة : الأحقاد . وبدرية نسبت إلى بدر وهي أول الوقائع بين المسلمين والمشركين . تريد أن معاوية بإثارته الحرب عليّ عليّ إنما ينتقم لمن قتل من آله يوم بدر .

(٢) سورة التوبة : ١٢ .

(٣) السبط الحفيد ، والحسن والحسين سبطاه . وعليّ أبوهما .

(٤) تشير بذلك إلى الحديث « لا يحبه إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا منافق » .

(٥) تريد بذلك يوم حنين

قالت والله مايسوؤنى أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه .

قال : هيهات ياكثيرة الفضول . ماتقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله ؟ .

قالت : وماعسيت أن أقول فى عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون ! .

قال معاوية : يأم الخير ؛ هذا والله أصلك الذى تبنين [1] عليه .

قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ، ماأردت بعثمان نقصا ، ولكن كان سابقا إلى الخير ، وإنه لرفيع الدرجة غدا .

قال : فما تقولين فى طلحة بن عبيد الله [2] ؟ قالت : وماعسى أن أقول فى طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ! وقد وعده رسول الله ﷺ الجنة .

قال : فما تقولين فى الزبير [3] ؟ قالت : وما أقول فى ابن عمة رسول ﷺ وحواريه [4] ؟ وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وقد كان سباقا إلى كل مكرمة فى الإسلام ، وأنا أسألك بحق الله يامعاوية ، فإن قريشا تحدثت أنك أحلمها – أن تسعنى بفضل حلمك ، وأن تعفينى من هذه المسائل ، وتسألنى عما شئت من غيرها .

قال : نعم ونعمة عين ، قد أعفيتك منها . ثم أمر لها . بجائزة رفيعة وردها مكرمة .

---

(١) يريد أن سوء رأيها فى عثمان هو الذى دفعها إلى مناصرة على .

(٢) طلحة بن عبيد الله أحد السابقين الأولين ، والأبطال المعلمين ، وعاشر عشرة بشرهم رسول الله بالجنة ، وسادس ستة احتارهم عمر رضى الله عنه ليكون مهم الخليفة من بعده ، وأول صحابى بايع عليًا ثم استحال رأيه فخرج عليه وانضم إلى جند عائشة . يوم الجمل وهنالك أصيب بسهم أودى به رضى الله عنه .

(٣) كان أمر الزبير حيال على شبيها بأمر طلحة . وكان قد انضم إلى جند عائشة ، فأرسل يذكره .ل رسول الله له : « لتقاتلنه – يريد تقاتل عليا – وأنت ظالم له » فانثنى عن الموقعة فرارا من الباطل ، وعودا إلى الحق ، فلما انتهى إلى واد يقال له : وادى الباع أخذه النوم فاغتاله رجل من مجاشع يقال له : عمر بن جرموز .

(٤) حواريه · الحوارى الناصر للأنبياء ، وحوارى الرجل صفوته من الناس .

٨ – وفود أروى بنت عبد المطلب

على معاوية رحمه الله

العباس بن بكار قال : حدثنى عبد الله بن سليمان المدنى ، وأبو بكر الهذلى ، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهى عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك وأهلا ياعمة ، فكيف كنت بعدنا ؟ .

فقالت يابن أخى ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة فى الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود (١) ، ورد الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هى العليا ، ونبينا ﷺ هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، تحتجون بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ؛ فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون ، وكان على بن أبى طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، وأقصرى عن ذلك مع ذهاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك ! .

فقالت له : وأنت يابن النباغة تتكلم ! وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة ، وآخذهن لأجرة ! اربع على طلعك ، واعن بشأن نفسك ؛ فو الله ماأنت من قريش فى اللباب من حسبها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك خمسة

---

(١) من الضراعة والذلة .

نفر من قريش [كلهم يزعم أنه أبوك] فسئلت أمك عنهم ، فقالت : كلهم أتانى ، فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به .

قال : مروان : كفى أيتها العجوز ، واقصدى (١) لما جئت له .

فقالت : وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ؟! .

ثم التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ما جرأ على هؤلاء غيرك وإن آمك القائلة فى قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر(٢)،
ما كان لى عن عتبة من صبر فشكر وحشى(٣) على دهرى
حتى ترم (٤) أعظمى فى قبرى

فأجابتها بنت عمى وهى تقول :

خزيت فى بدر وبعد بدر يابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف ياعمة ! هاتى حاجتك (٥) .

قالت : مالى إليك حاجة ، وخرجت عنه .

* * *

---

(١) تكلمى فى الموضوع الذى جئت من أجله مباشرة ، ودعى كلامك هذا بتأن عمرو ابن العاص .

(٢) تستعر ويشتد لهيبها .

(٣) وحشى قاتل حمزة . وقد أسلم . وعاش حتى قتل مسيلمة الكذاب .

(٤) تصبح بالية فهى رميم .

(٥) اذكرى ما جئت من أجله .

فى الأمثال السائرة

قال ابن عبد ربه :

.. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الأمثال ، التى هى وشى الكلام وجوهر اللفظ ، وحلى المعانى ، والتى تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهى أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل : « أسير من مثل » .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر ... يعرفه الجاهل والخابر (١)

ولقد ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه وضربها رسول الله ﷺ فى كلامه .

قال الله عز وجل : ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ (٢) وقال : ﴿ وضرب الله مثلا رجلين ﴾ (٣) ومثل هذا فى القرآن كثير ومن أمثال العرب مما روى أبو عبيد جردناها من الآداب التى أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كتبا غير هذا .

وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير (٤) .

---

(١) الخابر : من لديه خبرة بالأمور وعلم .
(٢) سورة المؤمنون : ٥١ .
(٣) سورة النحل : ٧٦ .
(٤) استخلصنا الأمثال الخاصة بالنساء مما يناسب كتابنا هذا . المحقق .

ومن ذلك قولهم فيمن يضرب به المثل من النساء

يقال :

- أشأم من البسوس .
- وأحمق من دُغة .
- وأمنع من أم قرفة .
- وأقود من ظلمة .
- وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التى يقال لها : « حرب البسوس » .

وأم قرفة : امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان يعلق فى بيتها خمسون سيفا ، كل سيف منها لذى محرم لها .

ودغة : امرأة من عجل بن لجيم ، تزوجت فى بنى العنبر ، بن عمرو بن تميم .

وزرقاء بنت نمير : امرأة كانت تبصر الشعرة البيضاء فى اللبن ، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها الجيوش ، إذا غزتهم ، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له ، حتى احتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه ، فقطعوا شجراً أمسكوه أمامه بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت :

إنى أرى الشجر قد أقبل إليكم ! .

قالوا : قد خرفت ورق عقلك ، وذهب بصرك ، فكذبوها وصبحتهم الخيل ، وأغارت عليهم ، وصلبت الزرقاء [1] .

قال : فقوروا عينيها ؛ فوجدوا عروق عينيها قد غرقت فى الإثمد [1] ؛ من كثرة ما كانت تكتحل به .

وظلمة : امرأة من هذيل ، زنت أربعين عاما ، فلما عجزت عن الزنا والقود ، كانت تقود تيسا لينزو على عنز ! .

صدق الحديث

ومن قولهم : القول ما قالت حذام .

وهى امرأة لجيم بن صعب ، والد حنيفة وعجل ، ابنى لجيم ، وفيها قال :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

سوء المسألة وسوء الإجابة

وقالوا : حدث امرأة حديثين ، فإن لم تفهم فأربعة . كذا فى الأصل ؛ والذى أحفظ ، فأربع ، أى أمسك .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : إياك أعنى ، واسمعى ياجارة .

---

(١) وجرى المثل : أبصر من زرقاء اليمامة .

(٢) الإثمد : حجر أسود يدق ويكتحل به .

الدعاء بالخير

وقولهم فى النكاح :

على بدء الخير واليُمْنِ .

وقولهم : بالرفاء والبنين . يريد بالرفاء : الكثرة ، يقال منه : رفأته إذا دعوت له بالكثرة .

تعيير الإنسان صاحبه بعيبه

قالوا : رمتنى بدائها وانسلت .

الذب [1] عن الحُرَم

وقولهم : النساء لحم على وضم ، إلا ماذب عنه .

وقولهم : النساء حبائل الشيطان .

وقولهم : كل ذات صدارٍ [2] خالة . يريد أنه يحميها كما يحمى خالته .

تأديب الكبير

قال الشاعر :

وتروض عرسك بعدما هرمت   ومن العناء رياضة الهـــرم

وقولهم :

أعيتني بأشر فكيف بدردر ؟! .

أعييتني وأنت شابه ، فكيف إذا بدت درادرك وهى مغارز

---

(1) وسمى الذباب ذبابا ، لأنه كلما ذُبَّ آبَ .

(2) ... المرأة .

إعجاب الرجل بأهله

منه قولهم : كل فتاةٍ بأبيها معجبة .

وقولهم : القرنبى [1] فى عين أمها حسنة .

وقولهم : زين فى عين والد ولده .

وقولهم : حسن فى كل عين من تود .

وقولهم : من يمدح العروس إلا أهلها .

العفو عند المقدرة

منه قولهم : ملكت فأسجح .

وقد قالته عائشة رضى الله عليها لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ، وكلمها فأجابته : ملكت فأسجح . أى ظفرت فأحسن ، فجهزها بأحسن الجهاز ، وبعث معها أربعين امرأة . وقال بعضهم : (سبعين) ، حتى قدمت المدينة .

مفاكهة الرجل أهله

منه قولهم : كل امرىءٍ فى بيته صبى .

يريد حسن الخلق والمفاكهة .

ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنا إذا خلونا قلنا .

ومنه قول النبى ﷺ : « خياركم خياركم لأهله » .

ومنه قول معاوية : إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام .

---

(١) القرنبى : دويبة كالخنفسة طويلة القوائم .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثديها .

وضع الشيء في غير موضعه

ومنه قولهم : كمعلمة أمها الرضاعة .

البخيل يعتل بالعسر

ومنه قولهم : قبل النفاس كنت مصفرة .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تسألني برامتين سلجماً . وأصله أن امرأة تشهت على زوجها سلجماً وهو ببلد قفر ، فقال هذه المقالة ؛ والسلجم : اللفت .

ومنه قولهم :

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

المصانعة في الحاجة

من يطلب الحسناء يعط مهرها .

الظلم من نوعين

منه قولهم : أغيرةً وجبنا ؟! .

قالته امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدوه في منزله ، ورآها تنظر إلى القتال ، فضربها ، فقالت : أغيرة وجبنا ؟! .

الكريم يهضمه اللئيم

لو ذات سوارٍ لطمتني ! .

والحمد لله أولا وأخيرا .

الباب التاسع

المعجم النسائى

فى محاسن المرأة وأوصافها الخلقية ، والخُلُقية

من فقه اللغة للثعالبى

جمع واختيار

محمد إبراهيم سليم

صفحة من فقه اللغة للثعالبى (١)

فى محاسن أخلاقها وسائر أوصافها

عن الأئمة

إذا كانت حيية ؛ فهى : خَضِيرة وخَرِيدة .

فإذا كانت منخفضة الصوت ؛ فهى : رَخِيمة .

فإذا كانت محبة لزوجها مُتَحَببة إليه ؛ فهى : عَروب .

فإذا كانت نَفُوراً من الرِّيبة ، فهى نَوَار .

فإذا كانت تجتنب الأقذار ؛ فهى قَذُور .

فإذا كانت عفيفة ؛ فهى حَصَان .

فإذا أحصنها زوجها ؛ فهى مُحْصَنَة .

فإذا كانت عاملة الكفين ؛ فهى صَناع .

فإذا كانت خفيفة اليدين بالغزْل ؛ فهى ذَّراع .

فإذا كانت كثيرة الولد ؛ فهى نَثُور .

فإذا كانت قليلة الأولاد ؛ فهى نَزُور ..

---

(١) إتماما للفائدة رأينا أن نضع بين يديك ما جاء فى فقه اللغة للثعالبى عن أوصاف المرأة .
محقق .

فإذا كانت تتزوج وابنها رجل ؛ فهى بَرُوك .

فإذا كانت تلد الذكور ، فهى مِذْكار .

فإذا كانت تلد الإناث ، فهى مِئْناث .

فإذا كانت تلدُ مرة ذكرا ومرة أنثى ؛ فهى مِعْقَاب .

فإذا كان لا يعيش لها ولد ، فهى مِقْلات .

فإذا أتت بتوأمين ؛ فهى مِتآم .

فإذا كانت تلد النجباء ؛ فهى مِنجاب .

فإذا كانت تلد الحمقى ؛ فهى مِحْماق .

فإذا كان يغشى عليها عند البضاع ، فهى رَبوخ .

فإذا كان لها زوج ، ولها ولد من غيره ؛ فهى لَقوت .

فإذا كان لزوجها امرأتان ، وهى ثالثتهما ، فهى مُثفِاة شبهت بأثافى القدر .

فإذا مات عنها زوجها أو طلقها ، فهى مُرَاسَل – عن الكسائى .

فإذا كانت مطلقة ؛ فهى مردُودة .

فإذا مات زوجها ؛ فهى فاقد .

فإذا مات ولدها ؛ فهى ثَكُول .

فإذا تركت الزينة لموت زوجها ؛ فهى حادٌّ ومُحِدّ .

فإذا كانت لا تحظى عند أزواجها ؛ فهى صَلِفَة .

فإذا كانت غير ذات زوج ؛ فهى أَيِّم وعَزَبة ، وأرمَلة ، وفارغة .

فإذا كانت ثيبا ؛ فهى عَوان .

فإذا كانت بخاتم ربها ؛ فهى بكر وعذراء .

فإذا بقيت فى بيت أبويها غير مزوجة ؛ فهى عانس .

فإذا كانت عروسا ؛ فهى هَدِىّ .

فإذا كانت جليلة تظهر للناس ويجلس إليها القوم ؛ فهى بَرْزَة .

فإذا كانت نَصفاء عاقلة ؛ فهى شَهلة كَهلة .

فإذا كانت تلقى ولدها وهو مضغة ؛ فهى مُمْصِل .

فإذا قامت على ولدها بعد موت زوجها ؛ ولم تتزوج فهى مُشْبِلة .

فإذا كان ينزل لبنها من غير حبل ؛ فهى مُحْمِل .

فإذا أرضعت ولدها ثم تركته لتدرجه إلى الفطام ؛ فهى مُعَفِّرَة .

* * *

فى ترتيب حسن المرأة – عن الأئمة

إذا كان بها مسحة من جمال ، فهى وَضيئة وجميلة .

فإذا أشبه بعضها بعضا فى الحسن ؛ فهى حُسانة .

فإذا استغنت بجمالها عن الزينة ؛ فهى غانية .

فإذا كانت لاتبالى أن لاتلبس ثوبا حسنا، ولاتتقلد قلادة فاخرة؛ فهى مِعْطال

فإذا كان حسنها ثابتا كأنه قد وسِم ؛ فهى وَسيمة .

فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن ؛ فهى قَسيمة .

فإذا كان النظر إليها يسر الروع ؛ فهى رَائعة .

فإذا غلبت النساء بحسنها ؛ فهى بَاهر .

فصل فى تقسيم الحسن وشروطه

(عن ثعلب عن ابن الأعرابى وغيرهما)

الصباحة فى الوجه ، الوضاءة فى البشرة ، الجمال فى الأنف ، الحلاوة فى العينين ، الملاحة فى الفم ، الظرف فى اللسان، الرشاقة فى القد ، اللباقة فى الشمائل ، كمال الحسن فى الثغر .

فى ترتيب سن المرأة

هى طِفلة مادامت صغيرة .

ثم وَليدة إذا تحركت .

ثم كاعِب إذا كعب ثديها .

ثم ناهِد إذا زاد .

ثم مُعِصِر إذا أدركت .

ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار .

ثم خَوْد إذا توسطت الشباب .

ثم مُسْلِف إذا جاوزت الأربعين .

ثم نصف إذا كانت بين الشباب والتعجيز .

ثم شَهلة كَهلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد .

ثم شَهبَرة إذا عجزت وفيها تماسك .

ثم حَيزَبُون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة .

ثم قلعم ولِطْلِط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها .

فى محاسن العين

الدّعَجُ : أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة .

النّجَل : سعتها .

الكَحَل : سواد جفونها من غير كُحْل .

الْحَوَر : اتساع سوادها كهو فى أعين الظباء .

الوطَف : طول أشفارها وتمامها . وفى الحديث أنه ﷺ كان فى أشفاره وطف .

في محاسن الأسنان

الشَّنَب : رقة الأسنان واستواؤها وحسنها .

الرتَل : حسن تنضيدها واتساقها .

التَّفليج : تفرج ما بينهما .

الشَّتَت : تفرقها فى غير تباعد بل فى استواء وحسن ، ويقال : ثغر شتيت إذا كان مفلجا أبيض حسنا .

الأشَر : تحزيز فى أطراف الثنايا يدل على حداثة السن وقرب المولد .

الظَّلْم : الماء الذى يجرى على الأسنان من البريق ، لا من الريق .

فى تفصيل الأوصاف المحمودة فى محاسن خلق المرأة

(عن الأئمة)

إذا كانت شابه حسن الخَلْق ؛ فهى خَوْد .

فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعْرى ؛ فهى بَهْكَنَة .

فإذا كانت دقيقة المحاسن ؛ فهى مَمْكُورَة .

فإذا كانت حسنة القد لينة القَصَب ؛ فهى خَرْعَبَة .

فإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضا ؛ فهى مُبتَّلَة .

فإذا كانت لطيفة البطن ؛ فهى هَيفاء وخُمْصانة.

فإذا كانت لطيفة الكشحين ؛ فهى هَضِيم .

فإذا كانت لطيفةَ الخَصر مع امتداد القامة ؛ فهى ممشُوقة .

فإذا كانت طويلة العنق فى اعتدال وحسن ؛ فهى عُطبول .

فإذا كانت عظيمة الوركين ؛ فهى وَرْكاء وهِركَوله .

فإذا كانت عظيمة العجيزة ؛ فهى رَدَاح .

فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين ؛ فهى خَدَلَّجة .

فإذا كانت ترتج من سمنها ؛ فهى مَرْمارَة .

فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة ؛ فهى بَرَهْرَهة .

فإذا كانت كأن الماء يجرى فى وجهها من نَضرة النعمة ؛ فهى رَقْراقة

فإذا كانت رقيقة الجلد ، ناعمة البشرة ؛ فهى بَضَّة .

فإذا عرفت فى وجهها نَضرة النعيم ؛ فهى فُنُقٌ .

فإذا كان بها فتور عند القيام لسمنها ؛ فهى أَناة وَوَهنانة .

فإذا كانت طيبة الريح ، فهى بَهنانة .

فإذا كانت عظيمة الخَلق مع الجمال ؛ فهى عَبهَرة .

فإذا كانت ناعمة جميلة ؛ فهى عَبْقَرة .

فإذا كانت متثنية من اللين والنعمة ؛ فهى غَيداء وغادة .

فإذا كانت طيبة الفم ؛ فهى رَشُوف .

فإذا كانت طيبة ريح الأنف ؛ فهى أَنُوف .

فإذا كانت طيبة الخلوة ؛ فهى رَصُوف .

فإذا كانت لعوباً ضحوكا ؛ فهى شَمُوع .

فإذا كانت تامة الشعر ؛ فهى فَرْعاء .

فإذا لم يكن لمرفقها حجم من سمنها ؛ فهى دَرْماء .

فإذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها ؛ فهى لَفَّاء .

★ ★ ★

فصل فى نعوتها المذمومة خَلْقاً وخُلُقاً

(عن الأئمة)

إذا كانت نهاية فى السِّمن والعِظَم ؛ فهى قَيْعَلة .

فإذا كانت ضخمة البطن مسترخية اللحم ؛ فهى عِفْضاج ومُفاضة .

فإذا كانت كثيرة اللحم مضطربة الخلق ، فهى عَرَكْرَة ، وعَضنْكه .

فإذا كانت ضخمة الثديين ؛ فهى وَطْباء .

فإذا كانت طويلة الثديين مسترخيتهما ؛ فهى طُرْطُبَّة .

فإذا لم يكن لها عجيزة ؛ فهى زَلّاء . ورَسْحاء . وقد قيل : إن الرسحاء : القبيحة .

فإذا كانت صغيرة الثديين ؛ فهى جَدّاء .

فإذا كانت قليلة اللحم ؛ فهى قَضِرة .

فإذا كانت قصيرة (دميمة) فهى قُنْبُضَة وحَنْكَلة .

فإذا كانت غير طيبة الخلوة ؛ فهى عفلّق .

فإذا كانت غليظة الخلق ؛ فهى جادب .

فإذا كانت دقيقة الساقين ، فهى كَرْواء .

فإذا لم يكن على فخذيها لحم ؛ فهى مَصواء .

فإذا لم يكن على ذراعيها لحم ؛ فهى مَدشاء .

فإذا كانت منتنة الريح ؛ فهى لَخناء .

فإذا كانت لا تمسك بولها ؛ فهى مَثناء .

فإذا كانت مُفضاة ؛ فهى الشريم .

فإذا كانت لا تحيض ؛ فهى ضَهياء .

فإذا كان لا يستطاع جماعها ؛ فهى رَتقاء وعَفلاء .

فإذا كانت لا تختضب ؛ فهى سَلتاء .

فإذا كانت حديدة اللسان ؛ فهى سَليطة .

فإذا ازادت سلاطتها وأفرطت ؛ فهى سِلْفانة ، وعَزقانة .

فإذا كانت شديدة الصوت ؛ فهى صهصلِق .

فإذا كانت جرية قليلة الحياء ، فهى قرْثع . وقد قيل : هى البلهاء .

فإذا كانت بَذِيَّة فحّاشة وقحة ؛ فهى سَلفَعة . وفى الحديث « شرهن السّلْفعة » .

فإذا كانت تتكلم بالفحش ؛ فهى مَجِعة .

فإذا كانت تلقى عنها قناع الحياء ؛ فهى جَلِعة .

فإذا كانت تطلع رأسها ليراها الرجال ؛ فهى طُلَعة . قُبَعة .

فإذا كانت شديدة الضحك ؛ فهى مِهْزاق .

فإذا كانت تصدِف [1] عن زوجها ؛ فهى صَدُوف .

فإذا كانت مبغضة لزوجها ؛ فهى فارِكة .

فإذا كانت لا ترد يد لامس ؛ وتقر لما يصنع بها ؛ فهى قروُر .

---

(١) صدف عنه أعرض ومال إلى غيره

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

الباب الأول

الموضـــوع	الصفحة

الباب الثانى

الباب الثالث

الموضـــوع	الصفحة

الباب الرابع

الموضوع	الصفحة

الباب الخامس

الموضـــوع | الصفحة

الباب السادس

الباب السابع

الموضـــوع	الصفحة

الباب الثامن

الباب التاسع

رقم الإيداع ٥٥١٥ / ٨٥